# أهل السنة والجماعة

## بين التجمع الحزبي والعمل الجماعي

قال صلى الله عليه وسلم:

"ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ إصلاح ذات البين.. فإن فساد ذات البين هي الحالقة".

رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن حبان عن أبي الدرداء.

تأليف
محمد بيومي
عفا الله عنه

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩

obeikandl.com

obeikandl.com

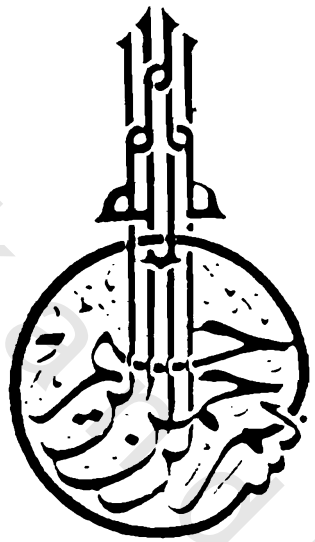

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩

obeikandl.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، الذى أنعم على عباده المؤمنين بالهداية والاعتصام بحبله المتين ، وجمعهم على الحق ، ووقاهم شر التشاحن ، وذل التخاذل ومن عليهم بالإخاء والألفة ، وجنبهم الاختلاف والفرقة .

أحمده أن هدانا لمعرفة الحق ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله لبيان سبيله الموصلة إليه ، والتحذير من سلوك سبيل الضلال ، فجمع به القلوب بعد الفرقة ، وأعزّ به بعد الذلة . وصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً [1] .

**وبعـــــد :**

فإن من المعلوم لدى كآفّة المسلمين « إن العبادة لله هى الغاية المحبوبة له والمرضية له التى خلق الخلقَ لها كما قال تعالى ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ [2] وبها أرسل جميع الرسل » [3] .

والعبادة كما يعرفها شيخ الإسلام بن تيمية . رحمه الله « **هى طاعة**

---

(١) « ذم الفرقة والاختلاف فى الكتاب والسنة » الشيخ عبد الله محمد الغنيمان ( ص ٥ ) .

(٢) الذاريات ٥٦ .

(٣) « مجموع الفتاوى » ( ١ / ١٥٠ ) .

الله بإمتثال ما أمر الله به على ألسنة الرسل » [1] وقال أيضاً : « العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة » [2] .

ومن الأعمال الظاهرة التى يحبها الله عز وجل وأمر عباده بها هى أن يعتصموا بحبله ولا يتفرقوا . كما قال تعالى ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ [3] وهذا أمر من الله لعباده بالاجتماع والائتلاف وعدم الفرقة والاختلاف ، ومن يخالف أمره سبحانه وتعالى فقد أوقع نفسه فى الفتنة والعذاب الأليم كما قال عز وجل ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾ [4] .

وقد ذم الله تبارك وتعالى الفرقة فى كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ . قال تعالى ﴿ **شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه . الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب** ﴾ ( الشورى : ١٣ ) .

وقال تعالى ﴿ **إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم فى شىء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون** ﴾ ( الأنعام :١٥٩ ) .

وهذه الآية الكريمة تتحدث عن اختلاف اليهود والنصارى قبل البعثة لكنها عامة فى كل من فارق دين الله وكان مخالفاً له بجعله الدين مللاً ونحلاً فبهذا العمل يكون قد لصقته البراءة من الله ورسوله [5] .

(١) انظر « فتح المجيد » ( ص ١٤ ) .

(٢) مجموع الفتاوى » ( ١ / ١٤٩ ) .

(٣) آل عمران من الآية رقم ١٠٣ .

(٤) النـــور ٦٣ .

(٥) انظر تفسير بن كثير ( ٢ / ١٩٦ ) .

ويؤيد هذا العموم الآية السابقة فى كون النهى عن الفرقة مما أوصى به الله أولى العزم من الرسل ويؤكده أيضاً قول البارى عز وجل ﴿ **ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم** ﴾ ( آل عمران : ١٠٥ ) .

فهذا نهىٌ من الله لهذه الأمة حتى لا تكون مثل الأمم الماضية فى الاختلاف والفرقة بعد قيام الحجة حتى استحقوا بذلك العذاب العظيم .

وفيه أيضاً قوله تعالى : ﴿ **فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون** ﴾ ( الروم : ٣٠ - ٣٢ ) . فهذا نهى من الله عن التشبه بالمشركين الذين من صفاتهم الفرقة فى الدين والتشتت شيعاً وأحزاباً .

وفى السنة النبوية نصوص عظيمة تأمر بالتمسك بالكتاب والسنة وتنهى عن الخلاف والفرقة .

فقد روى مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ( **إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** ) [1] .

---

(١) صحيح مسلم . كتاب الأقضية ( ١٧١٥ ) والموطأ ( باب ما جاء فى إضاعة المال وذى الوجهين ) ( ٩٩٠) ومسند الإمام أحمد ( ٢ / ٣٢٧ ، ٣٦٠ ، ٣٦٧ ) .

وروى الإمام أحمد والترمذى والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ( **أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم يفشوا الكذب حتى يحلف الرجل ولا يُستخلف ويشهد الشاهد ولا يُستشهد ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا ثالثهما الشيطان عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو مع الإثنين أبعد ومَنْ أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن** ) [1] . وأخرج أحمد من المسند عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال : ( **الجماعة رحمة والفرقة عذاب** ) [2] .

كما دلت النصوص الشرعية على مراعاة الوحدة وعدم الفرقة حتى فى الأمور الظاهرة لما لها من تأثير على القلوب وللعلاقة المتيقنة بين الظاهر والباطن .

فقد روى أبو داود بسند صحيح عن النعمان بن بشير قال : أقبل رسول الله ﷺ على الناس بوجهه فقال ( **أقيموا صفوفكم .. (ثلاثا) فوالله لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم** ) [3] .

وروى مسلم أن رسول الله ﷺ كان يمسح المناكب فى الصلاة ويقول : ( **استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم** ) .

---

(١) إسناده صحيح كما قال شيخ المحدثين فى السلسلة الصحيحة ( ٣ / ١٠٩ ) وصحيح الجامع ( ٢/ ٣٤٥ ) .

(٢) إنظر صحيح الجامع ( ٣ / ٨٤ )

(٣) إسناده صحيح كماقال العلامة الألبانى فى السلسلة الصحيحة ( ١ / ٣٦ ) وصحيح الجامع ( ١ / ٣٨٣ ) .

ففى هذين الحديثين دليل على عدم صلاح هذا الأمر الظاهر الذى هو تشويه الصفوف سبب للتفرقة بين القلوب كما أقسم على ذلك الصادق ( عليه الصلاة والسلام ) ولهذا بادر الصحابة رضى الله عنهم إلى الاستجابة لأمر النبى ﷺ إذ يقول النعمان بن بشير رضى الله عنه « فرأيت الرجل يلصق مَنكبه بمَنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه » ومن هذا الباب ما رواه أحمد وغيره بسند صحيح عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه قال : كان الناس إذا نزل رسول الله ﷺ منزلاً وعسكر تفرقوا فى الشعاب والأودية فقال رسول الله ﷺ « إنما ذلكم من الشيطان » وكانوا بعد ذلك إذا نزلوا منزلاً انضم بعضهم إلى بعض حتى إنك تقول لو بسطت عليهم كساءً لعمّهم » أو نحو ذلك » والذى ينظر فى أحوال المسلمين اليوم يدرك ما هم فيه من تفرُّق وتمزُّق والسبب فى هذا التفرق والتمزق هو أن الولاء بين المسلمين أصبح على اللافتات والأشخاص فانفرط بذلك عقد الإخوة والرابطة الإيمانية والنصوص تبيّن أن الولاء بين المسلمين يكون على قدر الالتزام بمنهج الله تعالى لا غير .

فمن التزم منهج الله نحبه ونواليه لذلك ، ومن وقعت منه بعض الانحرافات والتى لا تخرجه من دائرة الإسلام فإن عقد الإخوة يزال باقياً له مع عدم السكوت على انحرافاته وغض الطرف عنها ، فننصحه وندعوه إلى الحق ، ونبغض ما يأتيه من مخالفات ، فحالنا معه أننا نحبه من وجه ونبغضه من وجه آخر ، وهذا هو المنهج الصحيح لقاعدة الحب والبغض « والأصل فى هذه القاعدة قوله تعالى ﴿ **وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم** ﴾ ( التوبة : ١٠٢ ) .

فمن أخطأ أو زلّ فلا ينبغى أن نبغضه ونذمه بإطلاق كما فعلت

الخوارج ، فكفرت مرتكبى المعاصى ، كما أننا لا نمدحه مدحاً مطلقا ولا نوصله إلى درجة أبى بكر وعمر بل وجبريل وميكائيل عليهما السلام كما فعلت المرجئة ، وإنما دين الله وسط بين الغالى فيه والجافى عنه .

ونصوص السلف - رحمهم الله تعالى - من أئمة السنة تذكر المنهج الصحيح فى هذا الباب . يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمة الله تعالى : ـ « وإنه كثير ما يجتمع فى الفعل الواحد أو فى الشخص الواحد الأمران : فالذم والنهى والعقاب قد يتوجه إلى ما تضمنه أحدهما **فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر** ، كما يتوجه المدح والأمر والثواب إلى ما تضمنه أحدهما ، فلا يغفل عما فيه من النوع الآخر ، وقد يمدح الرجل بترك بعض السيئات البدعية الفجورية ، لكن قد يسلب مع ذلك ما حمد به غيره على فعل بعض الحسنات السنية ، **فهذا طريق الموازنة والمعادلة ، ومن سلكه كان قائماً بالقسط الذى أنزل الله له الكتاب والميزان** » [1] .

ويقول فى موضع آخر : « **ولا منافاة بين أن يكون الشخص الواحد يرحم ويحب من وجه ، ويعذب ويبغض من وجه آخر** » [2]

« **ومن سلك طريق الاعتدال ، عظم من يستحق التعظيم ، وأحبه ووالاه ، وأعطى الحق حقه ، فيعظم الحق ويرحم الخلق ، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات ، فيحمد ويذم ، ويثاب ويعاقب ويحب من وجه ، ويبغض من وجه هذا هو مذهب أهل**

---

(١) الفتاوى ( ١٠ / ٣٦٦ ) .

(٢) الفتاوى ( ١٥ - ٢٩٤ ) .

السنة والجماعة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم »[1] .

وهذا المنهج الذى يتحدث عنه شيخ الإسلام قد نَدَرَ وجوده الآن وذلك بسبب طغيان العصبية الحزبية على كثير من هذه المعانى ، حيث أصبح كل فرد يعتقد فى جماعته أنها « المؤهلة لحمل الدعوة ، وأن طريقها هو الأصوب والأسلم ، وأن من عداها من العاملين : مقصرٌ أو منحرف أو مخطىء ، وأن على المسلمين أن يستسلموا لتوجيهها ، ويتبعوا هديها ، وتصرفت معظم الجماعات بناء على قناعتها أنها جماعة المسلمين ، وإن نفت ذلك كلاماً فربت أولادها على الولاء الشخصى لقادتها ، وفهم القضايا الإسلامية : الإعتقادية والشرعية والحركية من خلال فهمهم ، وحاصرت وطاردت كل ما يخالف هذا الفهم ، أو ما يمكن أن يؤدى إلى إنتقاده وتصحيحه ، وزرعت فى النفوس الشك والنفور من كل ما خالفها بحق أو باطل . وشنت أكثر الجماعات على مخالفيها حرباً كلامية تقوم على الظن والشائعات والأهواء . وطبيعى بعد كل هذا أن تترسخ مظاهر الفرقة والتباغض بين معظم العاملين وعلى معظم المستويات ، وأن تبقى الأخطاء الموجودة بين الصفوف ، بل تزداد بتأثير الدفاع عنها والتعصب لها ، ثم تتسرب هذه الآثار المحبطة إلى محيط الأمة الإسلامية »[2] . ولذلك كان من أهم « أسباب فشل محاولات توحيد الصف : غياب وحدة المعتقد والمنهج والاختلاف المذموم والتعصب

---

(١) منهاج السنة النبوية ( ٤ / ٥٤٣ ) نقلاً عن ( منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين ) إعداد هشام الصينى ( ص ٣٩ ، ٤٠ ) باختصار .

(٢) نقلاً عن « فى منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة » أحمد سلام ( ص ١٨ - ١٩ ) باختصار .

للجماعة والحزب » [1] .

ومما زاد فى هوّة الفرقة والاختلاف أننا نسمع من البعض قولهم : إن المسلم يأثم إذا لم يعمل من خلال جماعة ويأتون بالنصوص التى تتحدث عن الجماعة العامة ثم يطوعون هذه النصوص للجماعات الخاصة . كقوله ﷺ ( **من خلع يداً من طاعة لقى الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس فى عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** ) [2] وقوله ﷺ ( **من خرج من طاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ومن قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتلته جاهلية ، ومن خرج على أمتى يضرب برّها وفاجرها ، ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفى لذى عهد عهده ، فليس منى ولست منه** ) [3] وقوله أيضاً ﷺ ( **من فارق الجماعة شيراً ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه** ) [4] .

وكثير من التنظيمات تورد هذه الأحاديث للتأثير على الآخرين ،

---

(١) « مجلة الفرقان الكويتية » ( عدد ١٣ / صفحة ٤٦ ) إشارة من المحرر لموضوع المحاضرة التى ألقاها أخونا الفاضل الشيخ محمد بن إسماعيل فى المؤتمر السنوى الثالث لجمعية القرآن والسنة فى أمريكا . نقلا عن « الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبى والتعاون » للشيخ على حسن عبد الحميد ( ص ٢٤ ) .

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن ابن عمر رضى الله عنه .

(٣) رواه مسلم فى ( صحيحه ) وأحمد فى ( المسند ) والنسائى فى ( المجتبى ) من حديث أبى هريرة رضى الله عنه .

(٤) رواه أحمد فى المسند ( ٥ / ١٨٠ ) وأبو داود وفى سنده وسند أبى داود خالد بن وهبان وهو مجهول ، لكن الحديث صحيح فإن له شواهد كثيرة منها عن الحارث الأشعرى عند الترمذى ( ٢ / ١٤١ ) وإسناده صحيح وقال الترمذى « حديث حسن صحيح » وصححه الحاكم ( ١ / ٤٢٢ ) على شرطهما ووافقه الذهبى . أفاده الألبانى فى تحقيق المشكاة ( ١ / ٦٥ ) والحديث أيضاً فى صحيح الجامع ( ٥ / ٣٢٦ ) .

وإقناعهم بضرورة الانتظام فى صفوفها ، فينشأ عن ذلك إقتناع بأن جميع الذين لم يلتزموا بهذا الأمر آثمون ، ويخشى أن يموتوا موتة جاهلية ، وهذا تلبيس وتدليس !!

ولذلك ينبغى أن نعرف « **ما المقصود بـ « الجماعة » التى يأثم المسلم بتركها ؟**

هل المقصود « التنظيمات » الموجودة فى عصرنا ، والموزّعة فى أرجاء الأرض ؟

أم أن المقصود « جماعة المسلمين » المجتمعين على بيعة سلطان مسلم؟

والذى يظهر من النصوص :

أن المعنى المتعيّن لـ « الجماعة التى يأثم المسلم بمفارقتها » هو « جماعة المسلمين الذين على رأسهم إمام مسلم » .

وإبراز هذا المعنى ضرورى فى هذه الأيام ، لأن النظر إلى « التنظيم » على أنه المقصود بـ « الجماعة » الواردة فى النصوص ، يسيطر ـ عملياً ـ على مواقف ومشاعر الكثرة الكاثرة من الذين يتحركون فى إطار التنظيمات الإسلامية المعاصرة ، ويظهر فى هذا الفهم الخاطىء فى أجلى صوره حين يترك فرد أو مجموعة تنظيماً من التنظيمات القائمة .... وهذا يؤدى إلى مآسٍ نفسيّة وأخلاقيّة مدمرة .

لذلك ..... فإننا نؤكد أن كل تنظيم من التنظيمات أو حركة من الحركات ، أو جماعة من الجماعات . إنما هى جماعة من المسلمين ، ليسوا ـ متفرّقين أو مجتمعين ـ جماعة المسلمين . كما أن الذى

لا ينتسب إلى تنظيم إسلامى ، أو حركة إسلاميّة .... فإنه لا يكون مفارقًا للجماعة ، وإذا مات لم تكن ميتته جاهليّة .

كما يدعونا انتشار الفهم الخاطىء لمعنى الجماعة التى يأثم المسلم بمفارقتها إلى التأكيد على أن الأخوّة بين المسلمين ، إنما هى بأصل الإيمان ( إنما المؤمنون إخوة ) وليسوا إخوة لانتمائهم لتنظيم ما أو حركة من الحركات .

ينشأ عن هذا .... أنه يجب أن يعامل معاملة المؤمن ، كلُّ من تشهد له نصوص الإسلام أنه من المسلمين سواء كان فى تنظيم أم كان غير منظّم .

وحينها يتجاوز العمل الإسلامى عتبات الحزبيّة ، ويكون العاملان ملتزمين فى عملهم بمنهج الإسلام ، ولا يكون الإلتزام بالأشخاص أو التنظيمات أو الجماعات ، التى هى دائماً للخطأ والصواب ، والكارثة والخلل والأمراض والعلل تتسلل إلى صفوف العاملين من خلال العدول عن هذا المقياس .

وحينها تخلع العصمة الكاذبة عن بعض الأشخاص ، والمبررات المضحكة التى توضع لتصرفاتهم وأخطائهم .

وحينها تزول العصبية لفئة أو شخص ، التى لا تظهر إلا فى حالة العمى العقلى ، وعدم الإبصار الصحيح ، أو فى حالة عدم وجود العزمة الأكيدة على الالتزام بهذا الدين .

وحينها توضع الأمور فى نصابها ، وينظر إلى العاملين ، على أنهم

بشر ، فلا يفسّقهم التلاميذ والمحبون ، ولا يبدّعهم الشانئون والمبغضون ...

وحينها لا نعتبر عملية النقد والمناصحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر اضطراب فى العمل أو تشويش وتهويش وتمزيق للصف .

وحينها نبتعد عن التشرذم والطائفيات الجديدة ، التى تتمزق على أرضها رقعة التفكير وتنمو الجزئيات وتغيب الكليات ويضطرب سلم الأوليات .

وحينها تتغلب دراسة أسباب التقصير ، على عملية صناعة التبرير ، وحينها تغيب كثير من المصطلحات السيئة التى تطلق على من فارق حزباً ما ، لخلافٍ فكريٍ معتمدٍ ، من مثل : « سقط على الطريق » أو « انحرف » أو « انهزم » أو « ارتكس » .....

وحينها لا تتداخل الوسائل بالغايات ، ولا يترقف العمل المنتج ، ولا تتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص ، لا ترى القضية الإسلامية إلا من خلالهم »[1] .

وحينها أيضا يكون « الولاء عند السلم لله ولرسوله ، وللمؤمن عقيدة راسخة ومبدأ ثابت لا يوالى على حزب ولا تجمع ولامصلحة ولا غاية ولا طريقة تخالف ما نص عليه جل شأنه فى قوله ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين أمنوا** ﴾[2] ولا يحتاج المسلمون إلى عقد يُكْتَبُ أو

---

(١) نقلا عن ( نصيحة ذهبية إلى الجماعات الإسلامية ) ص ( ٢٣ - ٢٥ ) وهذا عنوان من وضع الأخ مشهور حسن سليمان لإحدى رسائل شيخ الإسلام بن تيمية . وانظر أيضاً « نظرات فى مسيرة العمل الإسلامى » عمر عبيد حسنة ( ص ٢١ ، ٢٢ ) .

(٢) سورة المائدة من الآية رقم ٥٥ .

وثيقة تُختم أو منهج يُقَرِّرُ فيه هذا المبدأ غير الكتاب أو السنة .

وليس لمسلم أن يوالى على طائفة أو تجمع أو يعادى عليها أو يرى أن الحق ما جاء عن طائفته والباطل فى غيرها »[1] فإن « علاقة المسلمين بعضهم ببعض فى الحياة الدنيا لم يدعها الشارع هملاً ومسرحاً للمذهبية والحزبية تقطع ما أمر الله به أن يوصل »[2] فالصلة الوثيقة إنما تعنى « الإلتزام دائما بالمنهج الإسلامى ... بما شرعه الله وتجسَّم قُدْوَةً حسنة فى حياة الرسول ﷺ وسيرته فهو المقياس وليس الالتزام بالأشخاص أو الجماعات أو المذاهب أو الفرق أو الحكومات .

إن الخَلَلَ والعِلَلَ تتسلَّلُ إلى الحياة الإسلامية من العدول عن هذا المقياس أو محاولة اختلاسه من يد المسلم .... ومن ثم تكون العصمة التى تُخْلَعُ على الأشخاص والمسوِّغات المضحكة المبكية التى توضع لتصرفاتهم وأخطائهم التى تتناقض مع ما يُحِبُّه الله ويرضاه .

ولا ينبغى للعبد المحب لله الذى يحب إخوانه فى الله أن يظن أن الدعوة إلى التزام المنهج وعدم التزام الأشخاص والشارات واليافطات : إرتداد إلى الفرقة وبعثرة للجهود !

إن هذا الأصل الذى ترتبطُ به علاقات المسلمين بعضهم ببعض ليس من الأمور الاختيارية إنما هو تصحيح لمسيرة المجتمع المسلم وإلغاء

---

(١) ( الحركات الإسلامية المعاصرة ) ( ص ١٠ ) عايض القرنى نقلاً عن ( الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبى والتعاون الشرعى ص ٨١ .

(٢) الطليعة فى براءة أهل السنة ) لعبد العزيز العتبى ( ص ١٥ ) نقلاً عن (الدعوة إلى الله ...) لعلى الحلبى ص ٨٣ .

للإقطاعات البشرية في حياة الناس والتزام بالإسلام الذى ارتضاه الله ديناً بينه رسول الله ﷺ أتم بيان » [1] .

« والحاصل أن الرابطة الحقيقيّة التي تجمع المفترق ، وتؤلف المختلف هي رابطة ( لا إله إلا الله ) ... فهي الرابطة التي تجعل المجتمع الإسلامي كلّه كأنّه جسد واحد ، وتجعله كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً ... فلا يجوز البتّة النّداء برابطةٍ غيرها » [2] .

وهذا كلّه يُعدّ « من محاسن الإسلام : إنه نظّم الحياة الاجتماعيّة تنظيماً دقيقاً وربط أهل الإيمان بروابط وثيقة من الودّ والإخاء وأوجب عليهم من حقوق التعاون والولاء ما يكفل وحدتهم الاجتماعية .

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الروابط الوثيقة بقوله ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ [3] وبقوله ﴿ **إنما المؤمنون إخوة** ﴾ [4] .

وقد نوّه رسول الله ﷺ بهذه العلاقة الإيمانية وفخّم شأنها وبيّن ما يترتب عليها من الحقوق والآداب : قال رسول الله ﷺ ( **المسلمون تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ويَرُدُّ عليهم أقصاهم وهم يَدٌ على مَن سواهم** ) [5] .

---

(١) « حلاوة الإيمان » (ص ٥٢ - ٥٣ ) للأخ سليم الهلالي . نقلاً عن الدعوة إلى الله ...) لعلي الحلبي ص ٨٥ بتصرف يسير وانظر « الحب والبغض في الله » لسليم الهلالي ( ص ١٥ - ١٦ ) .

(٢) « أضواء البيان » ( ٣ / ٤٤٧ - ٤٤٨ ) بتصرف ، للعلامة محمد الأمين الشنقيطي ، نقلاً عن ( الدعوة إلى الله ... ) لعلي الحلبي ( ص ٨٥ ) .

(٣) التوبة آية ٧١ .

(٤) سورة الحجرات من الآية ١٠ .

(٥) رواه أبو داود ( ٤٥٣١ ) وابن ماجه (٢٦٨٣) وأحمد ( ٢ / ١٩٢ ) عن عبد الله بن عمرو بسند حسن .

وقال ﷺ ( **ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ) [1] .

وقال : ( **المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُهُ بعضاً** ) [2] .

.... هذا غيضٌ من فيضٍ وفردٌ من عَدٍّ مما أرشد إليه رسوله الله ﷺ من حقوق المسلمين ومما أوجب عليهم الإسلام من الارتباط والتعاون فيما بينهم ...

وهذا التولى هو أساس ارتباط المؤمنين فيما بينهم » [3] « وباب التعاون الشرعىّ والعمل الإسلامىّ الجاد مفتوح لمن هو له أهلٌ بضوابطَ ثابتةٍ وقواعد راسخةٍ » [4] وإنما قلنا بضوابط ثابتة وقواعد راسخة لأن « التوحيد بين الأطراف المتنازعة لا يكون على حساب المنهج السليم ولا يكون على حساب التفريط فى سلامة الأصول ، وحرصنا على الائتلاف ووحدة الكلمة لا ينفعنا إن نحن فرطنا فى وضوح كلمة التوحيد أو تساهلنا فى اهتزاز أصولها ... بل لو حاولنا ذلك – والعياذ بالله – وقعنا فى الشقاق والفرقة من حيث أردنا الوحدة والائتلاف .

ولذلك فنحن حين ندعو للائتلاف لا نعنى الائتلاف مع أصحاب

---

(١) رواه البخارى ( ١٠ / ٣٦٦ ) ومسلم ( ٢٥٨٦ ) عن النعمان بن بشير .

(٢) رواه البخارى ( ٥ / ٧١ ) ومسلم ( ٢٥٨٥ ) عن أبى موسى الأشعرى .

(٣) « الأحزاب السياسية فى الإسلام » ( ٤٣ – ٤٤ ) باختصار نقلاً عن « الدعوة إلى الله ... » لعلى الحلبى ص ٨٥ – ٨٦ .

(٤) « الدعوة إلى الله بين التجميع الحزبى والتعاون الشرعى » لعلى حسن عبد الحميد الحلبى ( ص ٣٢ ) .

المذاهب الكافرة من علمانية ووطنية وقومية واشتراكية ورأسمالية وغيرها من مذاهب الملاحدة والزنادقة والكفرة ، ... ونحن حين ندعو للائتلاف لا نعنى الائتلاف مع الفرق الضالة مع خوارج ، ورافضة، وقدرية ، وجبرية ومرجئة ومعتزلة وأشاعرة ... وغيرهم من الفرق الضالة عن الصراط المستقيم .

فدعوتنا ليست للائتلاف مع الخوارج الذين اتسم منهجهم بالغلو الشديد فى فهم دين الله ... والذين أمر رسول الله ﷺ وهو يحدث أصحابه عنهم بقوله « إقتلوهم فإن فى قتلهم أجراً » . ودعوتنا ليست للائتلاف مع الرافضة الذين تستّروا بستار التشيع لأهل البيت وابتدعوا فى دين الله مالم ينزل به سلطاناً .

ودعوتنا ليست للائتلاف مع القدرية الذين ينفون قدر الله عز وجل ، أو الجبرية الذين يقولون إن الإنسان مجبر على الخير والشر كالريشة فى مهب الريح !!

ودعوتنا ليست للائتلاف مع المرجئة الذين يشيعون الفساد فى المجتمع الإسلامى بادعائهم أن المسلم هو من تلفظ بالشهادتين دون أن يلتزم بأى عمل .. وإن خالف أصول الشريعة ... وإن ناقض التوحيد بفعله .. ، فلسنا ندعو للإئتلاف مع هؤلاء الذين زعموا أنه لا يضر مع الإيمان معصية فجرأوا الناس على الاستهزاء بالشرائع والشعائر ، وكانوا دعاة فسق وانحلال .

ودعوتنا ليست للإئتلاف مع المعتزلة الذين يقدمون العقل على النقل وينفون صفات الله وقدره ويقولون بخلق القرآن ويقولون بخلو

مرتكب الكبيرة فى النار وأنه ( فى الدنيا ) فى منزلة بين المنزلتين ؟ !

ودعوتنا ليست للإئتلاف مع الصوفية الذين يقولون بالحلول والاتحاد وأن الخالق مندمج فى المخلوق فكلاهما ـ بزعمهم ـ شيىء واحد ؟ !!! .. أو أولئك الذين يعبدون أضرحة الموتى أو يزعمون أن للقرآن ظاهراً وباطناً .. ظاهر يعرفه السذج من أهل السنة – بزعمهم – .. وباطن يعلمه أولياؤهم وأقطابهم بما لديهم من إلهامات – بزعمهم – فلسنا ندعو للائتلاف مع هؤلاء أو مع غيرهم من الفرق الضالة .

ولابد من التفرقة فى دعوتنا للائتلاف ، بين هؤلاء المبتدعة من الفرق الضالة وبين المختلفين من أهل السنة الذين نسعى لتأليفهم وجمع صفوفهم .

فالمختلفون من أهل السنة ، وإن وقع بعضهم فى تأويل فاسد وافق فيه بعض الفرق الضالة دون أن يدعو إلى مذهب تلك الفرقة أو يفاصل أهل السنة ويفارقهم عليه .. فإن هذا لا يخرجه عن مسمى أهل السنة والجماعة ؟ ! بل إن من علماء أهل السنة والجماعة من وقع فى بعض التأويلات وافق فيها بعض الطوائف . كالأشاعرة مثلاً دون أن يتبنى مذهبهم أو يدعوا إليه ، ومن هؤلاء العلماء ابن حجر العسقلانى والإمام النووى وابن الجوزى وابن عقيل . فهؤلاء الأعلام استدرك عليهم علماء أهل السنة والجماعة بعض تأويلات وافقوا فيها الأشاعرة ومع ذلك ، لم يخرج أحد من هؤلاء الأعلام عن مسمى أهل السنة والجماعة !

فيجب علينا دائماً أن نفرق بين من يتنكبون طريق الإسلام وينحرفون عن منهج أهل السنة والجماعة إلى مناهج أهل البدع والضلالة

والفرقة .. وبين الذين يخطئون وهم يسيرون على مناهج أهل السنة فهؤلاء أحوج إلى التصويب والرعاية والحوار منهم إلى المواجهة والتهوين والإحتقار »[1] .

وإن الواقع بين الجماعات الإسلامية الآن يجعل المرء يتساءل : ما هو المبرر الحقيقى لوجود مخاصمة بين كثير من هذه الجماعات التى ترفع كلها شعار السنة والجماعة ؟ وإذا كانت الاختلافات فى العقول وتعدد الاجتهادات قد تبرر تعدد الطرق والأساليب التى تتبناها هذه الجماعات فما الذى يبرر عدم تعاون هذه الجماعات نحو الغاية الواحدة المشتركة والهدف المنشود - مع احتفاظ كل من هذه الجماعات بشكلها الحالى - داخل إطار الجماعة الأم وهى جماعة أهل السنة بمعناها الشرعى الشامل الذى يستوعب ويقبل بل ويقر تعدد الاجتهادات ووجهات النظر فى الحدود المعتبرة شرعاً ؟ .

إن غياب الفقه الشرعى العميق المتكامل لحقيقة منهج أهل السنة والجماعة . وغياب الإطار الاخلاقى والسلوكى الذى تميز به دائماً أئمة السنة وسلفنا الصالح هو الذى يبرر لنا هذا الواقع الغريب الذى تعيشه هذه الجماعات التى ترفع شعار أهل السنة والجماعة .

إن ( الجماعة ) وكما يقرر شيخ الإسلام (ابن تيمية) : سبب ونتيجة فى نفس الوقت : فالحرص على الاجتماع والإئتلاف والموالاة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى ومحبة الخير للآخرين والحرص

---

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامى » إعداد محمد محمد بدوى ( ص ٩ - ١٣ ) باختصار وتصرف يسير .

على هدايتهم وإخلاص النصح لهم بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر عليهم فى كل حـال : كل ذلك سبب لتنزل رحمة الله على الناس وإسباغ نعمـه عليهم .

ومن رحمة الله على الناس ونعمه عليهم المحافظة على اجتماعهم وائتلافهم وموالاة بعضهم بعضاً .

إن النظرة الحزبية الضيقة التى تسيطر على معظم الجماعات الإسلامية والتعصب المقيت للأسماء والأشخاص واعتقاد كل طائفة أنها تملك الحق وحدها وأن غيرها ليس على شىء ، وتقديم المزاج الشخصى والهوى النفسى على الحكم الشرعى والانضباط الفقهى وتغليب مصلحة الجماعة على المصالح الشرعية للمسلمين ككل ومصادرة حق الغير فى التفكير والاجتهاد المخالف داخل إطار أهل السنة والجماعة . أضف إلى ذلك غياب القدوة والسلوكية والأخلاقية التى كان يمثلها أئمة أهل السنة الأعلام فى كل عصر وجيل كل ذلك كان محصلته هو ما نراه الآن من واقع ممزق واضطراب وتخبط فى مناهج وسلوك كثير من هذه الجماعات .

إن الفكرة السائدة بين كثير من هذه الجماعات : وهى اعتقاد كل منها أنها هى وحدها جماعة أهل السنة والفرقة الناجية والطائفة المنصورة . وأنها هى وحدها المسئولة عن هذا الدين وأنها هى وحدها القادرة على فعل كل شىء والوقوف على جميع الثغور واجتياز كل المراحل وخوض كل المعارك والبدء دائماً من نقطة الصفر وحتى تقيم الخلافة وتتسلم بنفسها مقاليد الأمور ومفاتح الإدارة !!!

نقول إنها لفكرة غريبة عن هذا الدين ولا تتفق مع واقعية وتاريخ

هذا الدين . ودليل على عدم فهم حقيقة منهج أهل السنة والجماعة فى التعامل مع واقع الأمور وحقائق الأشياء .

لقد اختلف السلف والأئمة وتعددت اجتهاداتهم فى كثير من القضايا العلمية والعملية ونتج عن ذلك تعدد التيارات الفكرية والحركية وسقوط البعض فى أخطاء إجتهادية أو تأويلات بعيدة ولكن الإخلاص فى النية لله وحده والصدق فى القول والعمل والالتزام بالعلم الشرعى والخلق النبوى جعلهم يحرصون خلال ذلك كله على وحدة الكلمة والمحافظة على الجماعة والأدب فى الحوار أو النقد والصبر على المخالف مهما كان خطؤه والدعاء له بالهداية والخير ، مع التزام كل منهم بما يراه حقاً وصواباً والدعوة إليه ذلك أنهم كانوا يعون هذه الحقيقة جيداً .

إن التعاون فيما بينهم والمحافظة على جماعتهم الشاملة وائتلافهم ووحدة كلمتهم والوقوف صفاً واحداً أمام عدوهم المشترك هو حياتهم ونصرهم ورحمة ربهم بهم .

إن اختلاف العقليات وتعدد القدرات وتنوع الملكات حقيقة واقعة وسنة كونية مقررة يجب قبولها واستيعابها وتفهمها بصدر رحب وعقل مفتوح طالما كان الالتزام أصلاً بالثوابت الشرعية عند أهل السنة وقوامها ردُّ الأمر عند التنازع إلى الكتاب والسنة وفقه السلف الصالح رضى الله عنهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان من الأئمة الأعلام . فما وسعهم فيه الخلاف فكيف لا يسعنا ؟ وهل نحن أعلم بدين الله وأحرص عليه منهم ؟

إن تعصب كثير من هذه الجماعات المعاصرة لأسماء وشعارات ما

أنزل الله بها من سلطان ، والمفاصلة وتحديد الولاء على أساس الانتماء للأشخاص واللافتات – وليس على أساس التقوى والعمل الصالح والولاء العام لجميع المسلمين – مع عدم تلقى الحق والخضوع له من مصادره الشرعية وإنما من نظرة حزبية ضيقة ورؤية القيادة أو مزاجها هو الذى يجمد العقل والسلوك كلاً عند حدود جماعته ، وهو الذى يصنع تلك الحدود الموهومة التى تحيط بها كل جماعة نفسها والتى تصوّر لأفرادها فى النهاية أنها هى وحدها الحق وكل ما عداها باطل أو خطأ أو انحراف .

إن العمل الجماعى المنظم واجب شرعى ومطلب عقلى وواقعى سواء للمسلمين أو لغيرهم فهذه سنة من سنن الله فى خلقه فالإنجازات المطلوبة من الجماعة لا يقوم بها فرد أو أفراد متفرقون . ولكن الجماعة أيضاً لا يمكن أن تنجز ما هو مطلوب منها إلا إذا استغلت إمكانيات وقدرات ومواهب وملكات أفرادها على تنوعها وتباينها استغلالاً علمياً منظماً تستثمر به أفضل ما يمكن أن يأتيه كل منهم فى تناسق وتوازن تتحقق به المصلحة الشرعية العامة للجماعة وليس مصلحة فرد منها .

وكذلك لا يمكن أن تنجح الجماعة إلا إذا كان أفرادها – وقادتها أولاً – مقتنعين بتلك السنن وأن الفرد – كفرد – مهما كانت إمكانياته وقدراته ومواهبه وملكاته لا يمكن أن يناطح سنن الله فيحقق بمفرده ما هو مطلوب من جماعة بكاملها بل عليه أن يسخّر كل ما يملك فى مصلحة الجماعة دون خلل فى التنسيق بين عمل الفرد وعمل الجماعة ككل . وكل جماعة من الجماعات الإسلامية هى فى النهاية كفرد واحد تشكل مع غيرها من الجماعات الأخرى الجماعة الأم بمعناها الواسع والشامل عند أهل السنة بغض النظر عن الحصار الوهمى الذى تفرضه بعضها على

نفسها أو يفرضه عليها الآخرون وبغض النظر عن الحدود الإقليمية المصطنعة التى تقسم جسد الأمة المسلمة إلى دويلات وعصبيات وولاءات محدودة بالمكان كالمدينة والإقليم والدولة ، أو الزعامة أو الطائفة أو الحزب أو غير ذلك من اللافتات أو الشعارات التى لا تزن مثقال ذرة فى ميزان الحق عز وجل .

إن العمل للإسلام من خلال هذه الجماعات أمر لا غبار عليه لا شرعًا ولا عقلاً ، وتسخير جهد كل فرد لخدمة هذا الدين من خلال تجميع منظم ومتناسق مع جهد الآخرين أمر واجب شرعى مطلوب بداهة ولا مفرّ منه . ولكن الخطأ والانحراف عن منهج أهل السنة والجماعة أن يقدم الولاء للجماعة الصغيرة على الولاء للجماعة الكبيرة (*) .

وأن تقدم المصلحة المتوهمة للجماعة الصغيرة على المصلحة الشرعية الحقيقية للجماعة الكبيرة وأن يضحى بالمهمة المطلقة والواجب الأكبر فى سبيل تحقيق المصلحة المرجوحة .

ورحم الله شيخ الإسلام بن تيمية حيث قال : ( وإذا عرف مقصود الشريعة سلك فى حصوله أوصل الطرق إليه ) (١) .

« فنحن فى أمس الحاجة إلى دعوة مفتوحة عالمية لكل الأمة والله عز وجل قد أنعم علينا وكفانا باسم الإسلام ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على**

---

(*) أى جماعة أهل السنة بمعناها العام والشامل .

(١) « أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقة الكبرى » محمد عبد الهادى المصرى ( ص١٩٠ - ١٩٣ ) باختصار يسير .

الناس ﴾ [1] . فتعالوا نجتمع معاً لنكون مجتمعاً من صفوة المجتمعات وصفوة الأفراد [2] .

« أليس من المحزن والمؤسف أن ننقسم إلى فرق وجماعات ونتفرق إلى كتل وأشياع كل جماعة بما لديهم فرحون ، ونحن نظن أننا ننصر الإسلام ونحقق فى المجتمع وحدة المسلمين وعزتهم المنيعة ؟ فما حال تفرقنا وتنافرنا إلا كحال من قال الشاعر فى حقهم .

وما شكواى أو شكواك إلا
بفوضى فى المجامع وانقسام
ترى كلاً له أملٌ وسعىٌ
وما لإثنين حولك من وئام
لكل جماعة منا إمام
ولكن الجميع بلا إمام

إن الوصول إلى النصر لا يتحقق إلا بجبهة قوية تضم أكبر عدد ممكن من العلماء العاملين والدعاة الصادقين » [3] .

واعلموا أننا ندعوكم للاجتماع على المنهج الواحد الذى سار عليه سلفنا الصالح رضوان الله عليهم « فنحن لا ندعو إلى جماعة جديدة أو اسم من الأسماء التى يتصارع عليها العاملون للإسلام ، وإنما هى دعوة

---

(١) سورة الحج من الآية ٧٨ .

(٢) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ١٤ - ١٥ ) باختصار يسير .

(٣) « إلى ورثة الأنبياء والدعاة إلى الله » عبد الله ناصح علوان ( ص ٥٦ ) .

إلى الانتماء لسلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين الذين اجتمعوا على الحق الصريح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . دعوة إلى الانتماء لجماعة ( أهل السنة ) الذين ميزهم دائماً اجتماعهم على الاتباع دون الابتداع فهم يمثلون الامتداد الطبيعي لما كان عليه النبي ﷺ .

دعوة نجعل فيها راية ( لا إله إلا الله ) راية ( أهل السنة والجماعة ) .. هي الراية التي ينطوي تحتها كل المخلصين أفراداً وجماعات .. الراغبين في العمل من أجل الإسلام مهما كانت انتماءاتهم ... ثم نوزع فيها بيننا الأدوار أدوار الأفراد وأدوار الجماعات لنقوم بمهمة التغيير المنشود » [1] .

فإنه من المحزن للقلب أن نرى العصبية الحزبية قد عملت عملها حتى أفرزت هذا الكلام وهو قول الشيخ « جاسم المهلهل » ( بل دعوة الإخوان ترفض أن يكون في صفوفها أي شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب ومن أشد المسلمين حماسة وأخشعهم في الصلاة ) [2] .

وهذا كلامٌ خطير للغاية « ففي الوقت الذي بدأ المسلمون فيه يتخلصون من العصبية المذهبية الفرعية أخذت الأحزاب تنفتح في التعصب من وجهٍ آخر هو أشدُّ تأثيراً وأثراً » [3] .

---

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامي » محمد محمد بدري ( ص ٨ - ٩ ) .

(٢) « للدعاة فقط » (ص ٩٦) نقلاً عن « الطريق إلى الجماعة الأم » لعثمان نوح (ص٨١).

(٣) « حكم الانتماء » للشيخ بكر أبو زيد ( ص ١٤٥ ) نقلا عن « الدعوة إلى الله ... ) لعلي الجبلي ( ص ٢٥ ) .

فلماذا ترفض يا أخانا الكريم من ينفر من التقيد بخططكم ونظامكم حتى ولو كان أروع الدعاة فهماً للإسلام وعقيدته وأكثرهم قراءة للكتب . لماذا تحجب عن إخوانك الاطلاع على وجهات النظر الأخرى ؟ وتجعل « الحزبيين يمنعون أتباعهم من مجالسة غيرهم ممن ليس معهم أو ليس « مؤازراً لهم » [1] .

وهذه والله « إحدى آفات التحزب والتعصب . ذلك أن الاطلاع على وجهات النظر المتعددة والمقارنة بينها يؤهل الإنسان ويمنحه القدرة على المراجعة والمناصحة والتصويب والتقويم » [2] ولذلك قال الإمام الثقة أيوب السختيانيُ : « إذا أردتَ أنْ تعرفَ خطأَ معلّمكَ فجالسْ غيرَه » [3] .

فما هو السبب الرئيسى لمثل هذه النظرة القاتمة المظلمة حول النقد والإصلاح ومعرفة الأغلاط ؟

السبب الرئيسى « فى إعتقادى (هو ) أن الحركة الإسلامية تأثرت إلى حدٍّ بالجو الحزبى الذى تعيشه البلاد العربية فى هذه الحقبة من الزمن .. حتى كادت تتلوث طبيعة العمل الإسلامى وأساليبه . فى بعض الأحيان بالروح الحزبية الضيقة التى لا تتفق بحال ونزعة الانفتاح والإنسانية فى

---

(١) « الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبى والتعاون الشرعى » لعلى عبد الحميد ( ص ٥٩ ) .

(٢) « من مقدمة عمر عبيد حسنة للكتاب « فقه الدعوة » ( ١ / ٨ كتاب الأمة ) نقلاً عن « الدعوة إلى الله . لعلى الحلبى ( ص ٦٦ )

(٣) رواه الدارمى فى « سننه » ( ١ / ١٥٣ ) نقلا عن « الدعوة إلى الله .. ) لعلى الحلبى ( ص ٥٩ )

الإسلام » [1] بل ان « من كوارث العمل الإسلامى وارتداده وانقلاب نشاطه الفكر الحزبى فعندما يكسب تنظيم ما عضواً يدين بالطاعة ولا يناقش ويتابع الأوامر فهذا يعتبر منتمياً والعكس بالعكس وكان من نتائج هذه الطريقة التربوية أن خرج جيل أو مجموعة كبيرة من الشباب تنتظر الأوامر فقط ، بذلك حرمت من ميزة الإبداع والحركة الذاتية ، والإبداع هو سر تفوق الدعوات وعلى العكس : خسرت بعض التنظيمات أهم عناصرها وأنشطها وأكثرها إبداعاً » [2] وهذه الأمور تجعل اللقاء بين العاملين فى حقل الدعوة إلى الله غير ممكن حيث أن « الروح الحزبية وروح التعصب توجد جواً عجيباً عند اللقاء حيث يحمل كل فرد على عينه نظارات من نوع خاص بلون معين ، فلا يرى الوجود حوله إلا بهذا اللون وفى مستوى الأفكار : لا يرى احتمال خطئه مع شعوره بأحقية ما يحمل ، بل الحق المطلق عنده والخطأ المطلق عند غيره » [3] . فهو يعتقد أن الحق مصور فى جماعته وأن أميره هو الوحيد الذى استطاع أن يفهم الإسلام فهماً صحيحاً وتخرج علينا الكتابات التى تؤكد هذا المعنى بكلام فيه غلو شديد أشبه بغلو المريد فى شيخه وطريقته !! .

فاستمع إليه يقول ( ولا نعلم أنه من بين خلق الله من فطن لهذا كله ولغيره من شروط جماعة المسلمين كما فطن إلى مجموع ما يلزم لتحقيق الجماعة الإسلامية أهدافها على كل مستوى من صياغة للمسلم

---

(١) « مشكلات الدعوة والداعية » فتحى يكن ( ص ١٣٢ ) نقلاً عن « البيعة » لعلى حسن عبد الحميد الحلبى ( ص ١٠٥٩ ) .

(٢) « فى النقد الذاتى » (٢٢٨) خالص جلبى . نقلاً عن « البيعة » لعلى الحلبى (ص ١٠) .

(٣) « فى النقد الذاتى » (٣٥) خالص جلبى . نقلاً عن « البيعة » لعلى الحلبى (ص ١٢) .

إلى إقامة للدولة المسلمة فى كل قطر إلى الوصول للدولة الإسلامية العالمية كحسن البنا رحمه الله » [1] ويقول « وفى هذه السلسلة أثبتنا بما يقبل جدلاً عند المنصفين أن أحداً لم يضع قدم المسلمين فى هذا العصر فى طريق تحرير من الوهن ثم فى الطريق إلى جماعة المسلمين ، وإمام تتوفر فيه الخصائص كحسن البنا رحمه الله » [2] ويقول « إننا لا نرضى لأنفسنا أن ننطلق بعيداً عن سير الأستاذ البنا لأن التفريط فى ذلك تفريط فى السير الصحيح لنصرة الإسلام فى هذا العصر » [3] « وأن المسلمين ليس أمامهم إلا فكر الأستاذ البنا إذا أرادوا الانطلاق من الصحيح » [4] ويقول أيضاً « ولا زالت دعوة الإخوان وحدها هى الجسم الذى على أساسه يمكن التجمع الإسلامى فى العالم » [5] ويقول « ولكن الأيام ستكشف – والله أعلم – أنه لن تستطيع الحركة الإسلامية ولا فى طور من أطوارها سواء قبل الدعوة أو بعدها أو فى السياسية الداخلية أو فى السياسة الخارجية للدولة الإسلامية أو فى التربية أو فى التكوين أو فى الاستراتيجية والحركة أن تستغنى عن فكر الأستاذ البنا رحمه الله ، ولئن كان البنا بمجموع ماحباه الله عز وجل هو المرشح الوحيد لأن يطرح نظريات العمل الإسلامى

---

(١) « من أجل خطوة إلى الأمام » سعيد حوى ( ص – ٣٧ ) . نقلاً عن « البيعة » لعلى الحلبى ( ص ١٢ ) .

(٢) « المصدر السابق » ص ٣١ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى » لسليم الهلالى ص ١٤٤ .

(٣) « فى آفاق التعاليم » سعيد حوى ( ص ١٢ ) . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى » لسليم الهلالى ص ١٤٤ .

(٤) « المصدر السابق » ( ص ٥ ) . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى » ( ص ١٤٤ ) .

(٥) « دروس فى العمل الإسلامى » سعيد حوى (ص ١٣ ) . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى » ( ص ١٤٥ ) .

فالدعوة التى أقامها تركيب ذو نسب معينة فمتى اختلفت هذه النسب حدث الفساد [1] « ولا زالت دعوة الإخوان وحدها هى الجسم الذى على أساسه يمكن أن يتم التجمع الإسلامى فى العالم » [2] « وإن جماعة الإخوان لا غيرها هى التى ينبغى أن يضع المسلم يده فى يدها » [3] و « وبهذا لا يسع مسلماً أن يتخلف عن هذه الدعوة » [4] وما قاله هذا فى جماعته وقائده يقوله الآخر- مع تغاير فى الأسلوب والكلمات - فى جماعته وأميره ، وفى ظل هذه الحالة السيئة كيف يمكن اللقاء ؟ !

ومما يزيد الأمر تعقيداً أنه « إذا حاول مسلم أن يناقش ويصلح ، سعوا ليكيلوا له أطنان التهم ، وأمتاراً مكعبة من القول الفاسد الفارغ وقالوا فيه ما لم يقلْه مالك فى الخمرة ( فاستمع إليه يقول ) » ثم إنه قد نبتت هنا وهناك أفكار مريضة تريد أن تتلخص من دعوة حسن البنا ومن أفكاره فكان لابد أن يعرف هؤلاء غيرهم أن الإنطلاقة على غير فكر الأستاذ البنا فى عصرنا قاصرة أو مستحيلة أو عمياء إذا ما أردنا عملاً كاملاً متكاملاً فى

---

(١) « فى آفاق التعاليم » ص ١٣ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم » سليم الهلالى ص ١٤٥ .

(٢) « دروس فى العمل الإسلامى » سعيد حوى ص ١٩ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى .. » سليم الهلالى ص ١٤٤ .

(٣) « المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين » سعيد حوى ص ( ٢٩ - ٣٠ ) نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى .. » ص ١٤٦ .

(٤) « فى آفاق التعاليم » سعيد حوى ص ١٧ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم » سليم الهلالى ص ١٤٦ .

خدمة الإسلام والمسلمين » [1].

ولهذا فهم يرفضون النصح ويحسبونه هدماً ويسمون تصحيح المسار تخريباً ويقولون « أما الذين يزعمون لأنفسهم تصحيح المسار من خلال تخريب الجماعة ! ويريدون أن ينطلقوا من نقطة الصفر فإنا نقول لهم : لقد فاتكم القطار ، فنقطة البدء وجدت منذ خمسين عاماً عن كتابة هذه السطور وتصحيح المسار من الداخل ، وفى البناء لا التهديم !! » [2] .

فانظر رعاك الله ، كيف جعلوا قطارهم كسفينة نوح !! واشترطوا أن يكون الصحيح من الداخل ! ! ومعنى هذا الشرط أن التصحيح إذا جاء من الخارج لا يقبل !! فلماذا نقيم « السدود أمام كل محاولة نقد أو مراجعة للأخطاء » [3] .

فإذا كنا نريد التغيير المنشود حقاً « لابد أن نتخلص من عقدة رفض النقد التى طالما سدت علينا الطريق لتطوير حركتنا فالحقائق مهما كانت ثقيلة ومريرة أجدى نفعاً من التهرب منها ، والحركة التى نخشى أخطاءها ليست حركة صحيحة وإذا اكتشفت خطأ من أخطائها ثم التفتّ عنه فالأمر أدهى وأمر » [4] ؟ !

---

(١) « فى آفاق التعاليم » سعيد حوى ص ٥ . نقلاً عن « مؤلفات سعيد حوى دراسة وتقويم » سليم الهلالى ص ١٤٥ .

(٢) « المدخل إلى الإخوان المسلمين » سعيد حوى ( ص ٣٠ ) . نقلاً عن « البيعة » لعلى الحلبى ( ص ٨ ) .

( ٣ ) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ٣٤ ) .

(٤) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ٣٤ ) .

إن « من فساد النظر الاعتقاد بأن عملية النقد والمناصحة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تحدث تشويشاً فى الصف الإسلامى ، واضطراباً فى العمل ... ذلك أن الصف أو الجماعة التى تخشى من الحوار وتخاف من المناصحة ويلبس الشيطان على بعض أفرادها بأن الأمر بالمعروف ومحاربة المنكر يهدد كيانها ، جماعة لا يوثق بها ولا تستحق البقاء ولا تستأهل حمل رسالة الإسلام التى من أولى متطلباتها الأمر بالمعروف والنهى عن المكنر ففاقد الشىء لا يعطيه ، إن مطارده عمليات المناصحة ومحاصرتها والقضاء عليها ، تنطوى على خطورة كبيرة ، تودى بأصل القضية فى سبيل استبقاء الصورة الشكلية للعمل والدعوة ، حيث تنقلب الوسيلة - التعاون فى إطار الجماعة للوصول إلي قدر أكبر من الخير غاية بحد ذاتها . إن التسلط الفردى والإرهاب الفكرى الذى يقع فيه أحياناً بعض العاملين للإسلام عندما يغيب عن ساحة العمل البعد الإيمانى العينى ، وما يقتضيه من خفض الجناح ، ولين الجانب ، والخلق الكريم ، يؤدى إلى لون من التشرذم ، وضرب من الطائفيات الجديدة ، تتمزق معها رقعة التفكير وتنمو الجزئيات وتغيب الكليات ويضطرب سلّم الأولويات ، ويضيع تصنيف المشكلات ، ويتوقف العمل المنتج ، وتتقلب الوسائل إلى غايات - كما أسلفنا - وتتمحور الصورة الإسلامية حول أشخاص لا ترى القضية الإسلامية إلا من خلالهم وينقلب جهد العمل إلى صناعة المبررات **وتتغلب عملية تصنيع التبرير على عقلية دراسة أسباب التقصير** ، ولا تعالج هذه القضية إلا من خلال ممارسة الحركة الفكرية ، والحوار الشامل ، **والتزام أدب الخلاف الإسلامى** ، وجعل المشروعية للمبادئ والأفكار وليس للوسائل والأشخاص ، إن العقيدة مقرها القلب ولا سلطان لأحد عليه إلا سلطان الدليل ، والقناعة بالشىء

هى الدافع لممارسته ، والله تعالى خاطب النبى ﷺ بأن الغاية من ابتعاثه إلحاق الرحمة بالعالمين قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ (الأنبياء : ١٠٧) وقال : ﴿ **لست عليهم بمسيطر** ﴾ ( الغاشية : ٢٢ ) وقال مخاطباً نبيه أيضاً ﴿ **أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ (يونس : ٩٩) وقال : ﴿ **ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾ ( آل عمران : ١٩٩ ) وهذه من الأبجديات الأولى فى الدعوة إلى الله ،وإلحاق الرحمة بالعالمين » [١] فيامن تتطلعون إلى رحمة رب العالمين اعلموا أن « سبب الاجتماع والألفة جمع الناس على الدين والعمل به كله ، وهو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما أمر به باطناً وظاهراً ، وسبب الفرقة ترك حظ مما أُمر العبد به ، والبغى بينهم :

ونتيجة الجماعة : رحمة الله ورضوانه وصلواته ، وسعادة الدنيا والآخرة وبياض الوجوه .

ونتيجة الفرقة : عذاب الله ولعنته وسواد الوجوه وبراءة الرسول من أهلها » [٢] .. فالحرص على الاجتماع والائتلاف والموالاة العامة لكل المسلمين على أساس التقوى سبب من أسباب تنزل رحمة الله ، كما أن نتيجة هذه الرحمة من الله أن تتألف القلوب وتجتمع بعد الفرقة » [٣] وقد كانت وحدة الأمة ورفع الفرقة هى النعمة التى امتن الله عز وجل بها

---

(١) نظرات فى مسيرة العمل الإسلامى » عمر عبيد حسنة ( ص ٣٦ ، ٣٧ ) .

(٢) « فتاوى بن تيمية » ( ١ / ١٧ ) نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد بدرى ( ص ٣٨ ) .

(٣) « أهل السنة والجماعة معالم الإنطلاقية الكبرى » محمد عبد الهادى المصرى « نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » ( ص ٣٥ ) .

على المؤمنين فقال عز وجل ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ [1] وكانت هى النعمة التى امتن بها رسول الله ﷺ على الأنصار حين قال لهم « ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بى وكنتم متفرقين فجمعكم الله بى » [2] .

فالراجون رحمة الله يحافظون على الجماعة وينبذون الفرقة وشعارهم « الوحدة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف مع كل فصائل أهل السنة والجماعة التى تعمل فى الساحة الإسلامية » .

والراجون رحمة الله : يوالون إخوانهم العاملين للإسلام ولاءً عاماً ، فلا يحكمون على فرد من أفراد الحركة الإسلامية بمجرد انتمائه إلى فيصل من فصائلها أو التعاون معه ، ولا يحكمون على فيصل من فصائل الحركة الإسلامية من خلال تحرك فرد من أفراده . بل يوالون المؤمن من أى فيصل كان ويتعاونون مع فصائل أهل السنة وإن كان بعض أفرادها على غيرها وصفتهم التى تميزهم ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ [3] .

والراجون رحمة الله : يجعلون الحب فى الله والأخوة فيه عز وجل بديلاً للجماعة الواحدة التى يأملون أن تكون فى يوم من الأيام هى «الأمة» المتآخية المتحابة كما أمر رسول الله ﷺ فى قوله : ( **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ) [4] .

---

(١) سورة آل عمران الاية رقم ١٠٣ .

(٢) « نحو وحدة العمل الإسلامى » ( ص ٩ )

(٣) سورة الفتح من الاية رقم ٢٩ .

(٤) « جند الله تخطيطاً » سعيد حوى ، نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » ( ص ٣٧ ) والحديث سبق تخريجه .

وهم يشعرون فى إخوانهم أنهم « جمال الدنيا والآخرة » .. ويعلمون أن « العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل » كما يقول الشافعى [1] .

ولذلك . فالراجون رحمة الله – يقبلون الآن أن تكون فصائل العمل الإسلامى مدارس حركية يختار الفرد منها ما يشاء دون أن يؤدى ذلك إلى معاداته المدرسة الأخرى [2] . ما دامت تلك المدرسة تسترشد بالكتاب والسنة وإجماع الصحابة وتشكل رافداً يصب فى نهر أهل السنة الكبير .

والراجون رحمة الله : لا يدعون أحداً إلى التخلى عن شيخه الذى علمه أو جماعته التى يتعاون معها وإنما يريدون من كل عامل للإسلام أن يدرك أن شيخه وجماعته وسيلة لغاية هى الإسلام . ولذلك فلابد أن يكون إرتباطه بشيخه أو جماعته بقدر كون هذه الجماعة أو ذلك الشيخ وسيلة إلى هذه الغاية على خير وجه » [3] .

والراجون رحمة الله : يعرفون لقادة الحركة الإسلامية وأئمتها مقاديرهم ومراتبهم ولكنهم مع ذلك لا يعطونهم العصمة التى لا تكون إلا لرسول . فهم يقدرونهم ولا يقدسونهم وهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم بل كما يقول بن القيم « لابد من معرفة فضل أئمة الإسلام ومقاديرهم

---

(١) « هكذا ظهر جيل صلاح الدين » ماجد الكيلانى . نقلا عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ٣٧ ) .

(٢) « هكذا ظهر جيل صلاح الدين » ماجد الكيلانى . نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » ( ص ٣٨ ) .

(٣) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ٣٨ ) .

:حقوقهم ومراتبهم ، وأن فضلهم وعلمهم ونصحهم لله ورسوله لا يوجب قبول كل ما قالوه ، وما وقع فى فتاويهم من المسائل التى خفى عليهم ما جاء به الرسول فقالوا بمبلغ علمهم والحق بخلافها لا يوجب إطراح أقوالهم جملة وتنقصهم والوقيعة فيهم فهذان طرفان جائران عن القصد وقصد السبيل بينهما ألا نؤثم ولا نعصم ، ولا نسلك بهم مسلك الرافضة فى علي ولا مسلكهم فى الشيخين بل نسلك مسلكهم أنفسهم فيمن قبلهم من الصحابة ، فإنهم لا يؤثمونهم ولا يعصمونهم ولا يقبلون كل أقوالهم ولا يهدرونها » [1] .

فالراجون رحمة الله : يعلمون قدر كل رجل من رجال الحركة الإسلامية فمهما كان عظيماً لا يتعدون به حد الرجل وإذا أخطأ لا يقلون من قيمته وقدره . فلا يعصمونه عن الخطأ ولكن يبقون على مكانته وقدره وإن أخطأ . وذلك لأن من لـه علم بالشرع والواقع يعلم قطعاً – كما يقول ابن القيم – أن الرجل الجليل الذى له فى الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو من الإسلام وأله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده فلا يجوز أن يتبع فيها ، ولا يجوز أن تهدر مكانته وإمامته ومنزلته فى قلوب المسلمين » [2] .

والراجون رحمة الله : « لا ينتصرون انتصاراً عاماً مطلقاً إلا لرسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم ويعلمون أن الحق والهدى يدور مع

---

(١) « إعلام الموقعين » ( ٣ / ٢٨٣ ) . نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد بدرى ( ص ٣٩ ) .

(٢) « إعلام الموقعين » ( ٣ / ٢٨٣ ) . نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد بدرى ( ص ٤٠ ) .

أصحابه دون أصحاب غيره حيث داروا ، كما يقول ابن تيمية »[1] .

والراجون رحمة الله : يعلمون ( فقه التعامل مع الداخل الإسلامى ، ويعرفون القواعد المشتركة والحدود الفاصلة فى الحركة الإسلامية وأين تلتقى الفصائل الإسلامية وكيف تتعاون . لذلك فهم فى هذا الإطار يحاولون إيجاد صيغة للالتقاء والانسجام الحركى بين كل فصائل العمل الإسلامى بحيث يسير الجميع وفق منهاج أهل السنة والجماعة وتكون لهم الأهداف الواضحة الثابتة التى لا تقبل التراجع أو المساومة ، والبرامج المستقبلية الواضحة التى يتكامل فيها المسلمون فيما بينهم وينفتحون على بعضهم ويتعاونون على البر والتقوى ويكون هدفهم عزة الإسلام وسيادته على أرجاء الأرض »[2] .

## ( قلـــةٌ تُنْقِذُ الموقف )

إذا كان واقعنا المعاصر يقول إن كثيرا من العاملين فى حقل الدعوة الإسلامية قد تأثروا – بنسب متفاوتة – بالعصبية الحزبية إلا أنه توجد فئة من الدعاة والعلماء والشباب المخلصين لم يتأثروا بهذه العصبية وهذه الفئة نرجوا منها أن تكون هى القلة التى تنفذ الموقف فإن « من الأمور الطيبة أن توجد فى الساحة الإسلامية مجموعة واعية تتبنى فكر أهل السنة والجماعة ، وتعمل على التقريب بين فصائل الحركة الإسلامية ، ومنا

---

(١) « حكم الانتماء إلى الجماعات والأحزاب الإسلامية » للشيخ بكر أبو زيد . نقلاً عن « نحو وحدة العمل الإسلامى » ( ص ٤٠ ) .

(٢) انظر « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ٣٥ – ٤١ ) .

انتدب نفسه لهذه المهمة فيجب عليه أن يتلطف فى إدخال المفيد النافع على من يحدثهم دون جدل بل بالأدلة الموضوعية .

ولاشك أن وجود هذا الصنف من الدعاة هو المقدمة الصحيحة لتعميم مفاهيم أهل السنة والجماعة فى كل الحركة الإسلامية ، وإزالة الحواجز بين العاملين للإسلام ، بحيث لا يتحرج فرد من الانتساب إلى فصيل من فصائل الحركة الإسلامية ، والتعاون مع الآخر فى الخير .. فيخرج ذلك جيلاً من الإسلاميين تتطابق أهدافهم فى الحياة بدل أن تتنابذ ، وتتكامل أفكارهم بدل أن تتصارع وتختلف !! وتكون غايتهم خالصة لله عز وجل .

ولن تكون هذه المجموعة التى نتحدث عنها حزباً أو جماعة وإنما هى بمثابة مدرسة تربوية تركز على تنظيف عقول أفرادها من المقولات الخاطئة المتعصبة وتطهير قلوبهم ونفوسهم من الأغراض الشخصية .. ثم مراجعة الأفكار وأساليب العمل المطروحة على الساحة الإسلامية وهكذا يمكن أن تبرز حركة تجديدية إصلاحية تتضافر فيها الجهود ويهجر فيها الأفراد خصوماتهم »[1] .

## كيف نلتقى ؟

إذا كنا نستشعر حجم المحنة التى وقعت فيها الأمة نتيجةً لهذه الفرقة وأردنا حقاً أن نتغلب على هذه المحنة وكنا صادقين فى دعوانا فعلينا أن نسعى جميعاً إلى الالتقاء ولكى يتم هذا الأمر « فلابد من حوارات مفتوحة مع كل الدعاة الصادقين ، ولابد من تعارف فصائل الحركة

---

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ١٦ - ١٧ ) .

بعضها على بعض عن قرب والحذر من الشائعات .. ، وكثيراً ما يحل التقاء قيادات فصائل الحركة الكثير من الاختلافات التى يثيرها نقلة الأخبار ومثيرو الإشاعات ؟ ! ولنجعل من هذه الحوارات لوناً من ألوان الشورى حول مجموعة القضايا الأساسية فى الدعوة ولعل الله عز وجل أن يخرج منها جيلاً طليعياً يهتدى إلى سبيل عودة أمة الإسلام ، يحدد مواطن الخلل ويكتشف الطريق الأصوب ، ويجمع البصيرة إلى جانب البصر ، ويلتزم منهاج الطائفة القائمة على الحق الحاملة للرسالة الخالدة « أهل السنة والجماعة » .

ولاشك أنه لإنجاح هذه الحوارات لابد لها من قواعد ، فقواعد الحوار فضلاً عن أنها آداب وأخلاق فهى جزء رئيسى ومؤثر فى فعالية أى عمل ينى على الحوار ، وما أى عمل فى بدايته سوى شروع يحتوى بعض الكلمات والأفكار .

ومن أهم قواعد الحوار ما يلى :

**١ - عدم تسفيه المخالف فى الرأى أو تجهيله أو التهكم عليه ..**

فالحوار يكون بالمعالجة العلمية الموضوعية ، وإذا أصاب المتحدث من مخالفه شىء من التسفيه فلا يقابله بالمثل ، وإنما يدفع بالتى هى أحسن **« ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىٌ حميم »** [١] .. وقال تعالى **« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »** [٢] .

---

(١) سورة فصلت الآية رقم ٣٤ .

(٢) سورة النحل الآية رقم ١٢٥ .

## ٢ - تـــرك المـراء

فحتى مع ملكية الحق ، لابد من ترك المراء ، كما يقول ﷺ ( **أنا زعيم ببيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً** ) [١] .

فترك المراء يمنع التفرق ويضمن الاستفادة من رأى الجميع لصالح الحركة الإسلامية ، وكلنا يعرف أن المحاجّة وإقامة الأدلة لها طرق ومسارات تصل بمتبعها إلى الحق وتكشف وجه المسألة من أقرب طريق .. فإذا تجاوز الحوار هذا الحدّ خرج إلى تفريعات لا تنضبط بقواعد محكمة ، ولا تستند إلى أدلة واضحة فى الاستدلال فيدور الحوار فى حلقة مفرغة ويتمزق الموضوع .

## ٣ - الســـماع الكامـل ..

فلابد من الإصغاء الكامل لطرف الحوار وإلى كل رأى يطرح وعدم مقاطعة صاحبه ، وهذا هو الذى يحقق تدبر القول والرأى ، لأن (التدبر) من ( الدبر ) أى الآخر وهذا يعنى أن التدبر لا يتحقق إلا بسماع الكلام إلى آخره ، هذا رسول الله ﷺ يتحدث إليه عقبة بن معيط فلا يقاطعه الرسول ﷺ حتى ينتهى ثم يقول له « انتهيت » قال : نعم ، قال رسول الله ﷺ ( فاسمع منى ) .

ولا شك أن السماع الكامل يعطى محاورك إحساساً بأنك تنصت إليه ، وتهتم بكل كلمة يقولها ، وتحترم حقـه فى التعبير عن وجهـة

---

(١) رواه أبو داود فى سننه ( ٤٨٠٠ ) بإسناد حسن كما قال العلامة الألبانى فى الصحيحة (٢٧٣) وصحيح الجامع ( ١٤٧٧ ) .

نظره ، وهذا بدوره يشعره بارتياح يخفف توتر الأعصاب الذى يُصاحب – عادة – حالة الحوار .. كما أن السماع الكامل يعطى المحاور إحساساً بجدية المحاورة فيحرص على الخروج من الحوار بفائدة علمية تؤثر كثيراً فى أى عمل يمكن أن يقوم بين المتحاورين !! .

**٤ – رحمانيـة الحـوار ..**

فلابد من الحرص على رحمانية الحوار ، والبعد عن الانفعالية ، وليكن الحوار « جلسة تغافر » وليس « جلسة تعاتب » وليكن لسان حال المتحاورين قائلاً :

من اليوم تعارفنا ونطوى ما جرى منا

فلا كان ولا صار ولا قلتم ولا قلنا ..

« وأخيراً .. ندعو كل إخواننا إلى العمل على تكامل فصائل الحركة الإسلامية وتعاونها فى هذا الإطار الذى نحسبه صواباً ، ولا ندعى له الكمال ، وإنما هى محاولـة وخـطوة على الطريق يعوزها التواصل المستمر .. نقصد منها إلى إزالة السدود النفسية بين الدعاة إلى الله وتحطيم الأسوار الحزبية التى قد تحمى غير الأكفاء وتحرم العمل من إمكانات وطاقات كبيرة ، ولتصبح فصائل الحركة الإسلامية حواس متعددة للعقل الإسلامى الواحد ، وأجهزة متعددة لوظائف الجسم الإسلامى الذى يشد بعضه بعضاً ، ولنسير جميعاً إلى أهدافنا مسيرة مؤتلفة متحدة تحت راية السنة والجماعة »[1] .

---

(١) « نحو وحدة العمل الإسلامى » محمد محمد بدرى ( ص ١٧ – ٢٢ ) .

٥ - إعطاء كل ذى حق حقه ..

«والأصل فى هذه القاعدة هو قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجر منكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (المائدة : (٨) .

وقول الله عز وجل : ﴿ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ﴾ (هود : ٨٥) [١] .

وقوله تعالى : ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾ ( الأنعام : ١٥٢ ) .

فهذا أمرٌ من الله تعالى بالعدل مع الآخرين فى الأقوال والأفعال حتى وإن كان بيننا وبينهم عداوة » [٢] .

ومما يؤسف أن هناك من الناس من إذا رأى من أخيه بعض الأخطاء نظر إليه وهو يقول - بلسان حاله أو بلسان قاله -: «ما رأيت منك خيراً قط» !! وهذا من باب كفران العشير ! وظلم الآخرين وصفات أهل البدع .

« يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - والكلام فى الناس يجب أن يكون بعلم وعدل ، لا بجهل وظلم ، كحال أهل البدع » [٣] ومن المعلوم أن الخطأ لا يسلم منه أحد فقد « ثبت أن النبى

---

(١) « منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين » هشام الصينى (ص ٢٣) .

(٢) انظر تفسير ابن جرير ( ١٠ / ٩٥ ) تحقيق أحمد شاكر .

(٣) « منهاج السنة النبوية » ( ٤ / ٣٣٧ ) نقلاً عن « منهج أهل السنة والجماعة .. » هشام الصينى ( ص ٢٣ ) .

ﷺ قال : « كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون »[1] فلا ينبغى أن تدفن محاسن المرء لخطأ كما أن الماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث[2] . « ومن خلال النصوص السابقة نعلم أنه لا يجوز للإنسان أن يتكلم فى غيره – إن إحتاج إلى ذلك شرعاً – إلا :

(١) بعلم

(٢) وعدل وإنصاف .

فمن تكلم فى غيره بظلم وجور ، فهو مخالف للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح مخالف لقوله تعالى : ﴿ **ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً** ﴾ (الإسراء : ٣٦) .

ومن تكلم فى غيره بظلم وجور ، فقد خالف قوله تعالى : ﴿ **ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى** ﴾ (المائدة : ٨ ) .

والكلام فى الآخرين بدون علم ، أو بظلم وهوى سبب لكثير من التفرق للقلوب وحدوث الشحناء والحسد والتباغض ، بل سبب الفشل وذهاب وحدة الصف وقوته »[3] .

---

(١) أخرجه أحمد ( ٣ / ١٩٨ ) والترمذى ( ٤ / ٦٥٩ ) وابن ماجه ( ٢ / ١٤٢٠ ) وانظر صحيح الجامع برقم ( ٣٥١٥ ) .

(٢) هو لفظ حديث أخرجه الدارمى ( ٧٣٧ – ٧٣٨ ) والدراقطنى ( ١ / ٢١ – ٢٢ ) وغيرهما وقد أفاض ابن القيم رحمه الله تعالى – فى دراسته فى تعليقه على سنن أبى داود ، انظر « عون المعبود » ( ١ / ١٠٦ – ١٢٥ ) وانظر إيواء العليل ( ١ / ٦٠ ) .

(٣) « منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين » ( ص ٢٥ ) .

## عوامل مساعدة على وحدة الصف

هذه بعض العوامل التى تساعد على وحدة الصف الإسلامى وبناء الأمة المسلمة .

وهى تحتاج إلى تضافر جهود المخلصين وتوافر هممهم حتى يعملوا على تحقيقها وإيجادها فى عالم الواقع .

وأول هذه العوامل :

## التحذير من نشر الشائعات

فإن « المتأمل فى الكتاب والسنة وفى التاريخ بشكل عام يعلم يقيناً ما للشائعات من خطرٍ عظيم ، وأثر بليغ ، فالشائعات تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة والمدمرة للمجتمعات والأشخاص ، وكم أقلقت الإشاعة من أبرياء و حطمت عظماء ، وهدمت وشائج وسببت فى جرائم ، وفككت من علاقات وصداقات وكم هزمت من جيوش وأخرت من سير أقوام ؟ ! لخطرها وجدنا الدول تهتم بها ، والحكام ، يرقبونها معتبرين إياها مقياس مشاعر الشعب نحو النظام صعوداً أو هبوطاً ، وبانين عليها توقعاتهم لأحداث سواء على المستوى المحلى أو الخارجى .

لسنا مبالغين حين نقول إن ما واجهه النبى ﷺ فى حديث الإفك ، هو حدث الأحداث فى تاريخه عليه الصلاة والسلام فلم يمكر بالمسلمين مكرٌ أشد من تلك الواقعة ، وهى مجرد فرية وإشاعة مختلقة بيّن الله تعالى كذبها ، لكنها لولا عناية الله كانت قادرة على أن تعصف بالأخضر واليابس ، ولا تبقى على نفس مستقرة مطمئنة ، ولقد مكث مجتمع

المدينة بأكمله شهراً كاملاً وهو يصطلى نار تلك الفرية ، ويتعذب ضميره وتعصره الإشاعة الهوجاء حتى نزل الوحى ليضع حداً لتلك المأساة الفظيعة ، وليكون درساً تربوياً رائعاً لذلك المجتمع ، ولكل مجتمع مسلم إلى قيام الساعة ، وصدق الله : ﴿ **لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم** ﴾ (النور : ١١ ) وللإشاعة قدرة على تفتيت الصف الواحد والرأى الواحد ، وتوزيعه وبعثرته فالناس أمامها بين مصدِّق ومكذب ، ومتردد ومتلبلل ، فغدا بها المجتمع الواحد والفئة الواحدة فئات عديدة » [١] .

وثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال ( **كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع** ) [٢] وفى رواية : ( **كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع** ) [٣] .

ويقول الإمام مالك رحمه الله – « اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما سمع » [٤] « وقال ابن حبان فى المجروحين » (١ / ٩) فى هذا الخبر زجر للمرء أن يحدث بكل ما سمع حتى يعلم علم اليقين صحته » [٥] .

* وأثر الشائعات سيىء جداً ، وفى تاريخ المسلمين من الشائعات الكثيرة – التى كانت نتائجها سيئة فى ظاهرها – قصص كثيرة .

---

(١) « إنظر الإشاعة لأحمد نوفل » ( ص ١٢٧ – ١٢٨ ) بإختصار وتصرف يسير .

(٢) أخرجه مسلم فى المقدمة برقم (٥) .

(٣) انظر صحيح الجامع برقم ( ٤٤٨٠ )

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ( ٨ / ٦٦ ) .

(٥) « التحذيرات من الفتن العاصفات » لعلى الحلبى ( ص ١٠ ) .

• منها الشائعة التى انتشرت أن كفار قريش أسلموا ، وذلك بعد الهجرة الأولى للحبشة . كان نتيجتها أن رجع عدد من المسلمين إلى مكة، وقبل دخولهم علموا أن الخبر كذب ، فدخل منهم من دخل وعاد من عاد ، فأما الذين دخلوا فأصاب بعضهم من عذاب قريش ما كان هو فارٌ منه .. فلله الأمر سبحانه وتعالى .

• وفى معركة أحد عندما أشاع الكفار أن الرسول ﷺ قتل ، فتّ ذلك فى عضد كثير من المسلمين ، حتى إن بعضهم ألقى السلاح وترك القتال !

* وأدت الشائعات الكاذبة ضد الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى تجمع أخلاط من المنافقين ودهماء الناس وجهلتهم وأصبحت لهم شوكة ، وقتل على أثرها خليفة المسلمين بعد حصاره فى بيته وقطع الماء عنه ، بل كانت آثار هذه الفتنة ، أن قامت حروب بين الصحابة الكرام ، كمعركة الجمل وصفين ، وخرجت على إثرها الخوارج ، وتزندقت الشيعة ، وترتب عليها ظهور المرجئة والقدرية الأولى ، ثم انتشرت البدع بكثرة ، وظهرت فتن وبدع وقلاقل كثيرة ما تزال الأمة الإسلامية تعانى من آثارها إلى اليوم .

*** والذى ينبغى على المسلم عند سماعه مثل هذه الإشاعات والأخبار :**

**« ١ » أن يقدم حسن الظن بأخيه ، وهو طلب الدليل الباطنى الوجدانى ، وأن ينزل أخيه المسلم بمنزلته ، وهذه هى وحدة الصف الداخلى ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ﴾** [1] .

---

(١) سورة النور آية رقم ١٢ .

« ٢ » أن يطلب الدليل الخارجى البرهانى : ﴿ **لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء** ﴾ [١] .

« ٣ » ألا يتحدث بما سمعه ولا ينشره ، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت فى مهدها ولم تجد من يحييها إلا من المنافقين : ﴿ **ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا** .. ﴾ [٢] .

« ٤ » أن يرد الأمر إلى أولى الأمر ، ولا يشيعه بين الناس أبداً ، وهذه قاعدة عامة فى كل الأخبار المهمة ، والتى لها أثرها الواقعى ، كما قال تعالى : ﴿ **وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً** ﴾ ( النساء : ٨٣ ) .

* والشائعات إذا حوصرت بهذه الأمور الأربعة فإنه يمكن أن تتفادى آثارها السيئة المترتبة عليها ، ولكن ليس الإشكال فى هذا بل الإشكال أن هناك فريق من المؤمنين يرضون أن يستمعوا لمثل هذه الإشاعات ، وهذا فضلاً عن فريق من أصحاب القلوب المريضة التى تحب البحث ونشر مثل هذه الأمور ، وقد بيّن الله ذلك بقوله تعالى : ﴿ **وفيكم سماعون لهم** ﴾ ( التوبة : ٤٧ ) أى المنافقون المغرضون وهذا هو الداء الكبير ، وهو أن يرضى فريق من الناس الاستماع إلى مثل هذه الشائعات ، وإلى كلام المنافقين والمغرضين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى : ـ « فأخبر أن المنافقين لو خرجوا فى جيش المسلمين ما زادوهم إلا خبالا ، ولكانوا يسعون بينهم مسرعين ، يطلبون لهم الفتنة وفى المؤمنين من يقبل منهم

(١) سورة النور من الآية رقم ١٣ .

(٢) سورة النور الآية رقم ١٦ .

ويستجيب لهم : (١) إما لظن مخطىء ، (٢) أو لنوع من الهوى ، (٣) أو لمجموعهما » [١] .

ولذلك فالنقطة الخامسة :

« ٥ » عدم سماع ما يقوله الكذابون ، والمنافقون ، والمغتابون ، وأصحاب القلوب المريضة ، وعدم الرضا بذلك ، كما هو منهج السلف رضوان الله عليهم .

**« والفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء ، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها** ، وهذا شأن الفتن كما قال تعالى : ﴿ **واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة** ﴾ (الأنفال : ٢٥) وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله » [٢] .

وفى هذا العصر نجد للشائعات دور كبير ، بل واستغلت ضد المسلمين استغلالاً كبيراً ، ومثل هذه الشائعات تحدث فى الصف ثغرات تُخل به ، وأحيانا تكون ثغرات كبيرة يصعب سدها !!

وخاصة إذا كانت الشائعات مصدرها من داخل الصف ، من أناس جهلة أو لهم هوى خفى ، أو ظن مخطىء .

*** وأما أعداء الإسلام فهم يستخدمون الشائعات ضد المسلمين**

---

(١) انظر « تعارض العقل والنقل » ( ٢ / ١٠٥ )

(٢) انظر « منهاج السنة النبوية » ( ٤ / ٣٤٣ ) .

وخاصة علمائهم وقادتهم ودعاتهم ، وغالباً ما يستخدمون فى شائعاتهم طريقين

(١) إنشاء وتلفيق الأكاذيب والاتهامات وإلصاقها بالعلماء والدعاة لزعزعة الثقة بهم ، والانصراف عنهم ، فكم من العلماء والدعاة قيل فيهم أنهم عملاء ، وأصحاب مناصب ودنيا ؟ !!

(٢) تصيد الأخطاء العلمية والعملية ونشرها بين الناس وإعطاءها حجماً كبيراً فيزيدون شائعات مكذوبه على أمرٍ صغير ، كالشيطان الذى يلقى على لسان الكاهن كلمة صحيحة وتسعاً وتسعين كذبة ؟ !

## ثانياً : النظر فى حال الجارح

والأصل فى هذه القاعدة هو قول الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ ( الحجرات : ٦ ) .

فإن الله عز وجل بين أن التثبت فى خبر الفاسق واجب ، فأول شىء قبل التثبت من الخبر ، هو النظر فى حال صاحبه ، هل هو عدل أم فاسق ؟

ولذلك ينبغى النظر فى حال الجارح فقد يكون بينه وبين المجروح عداوة ، أو حسد وبغضاء ، أو تنافس مذموم ، أو هو من قبيل كلام الأقران بعضهم فى بعض أو يكون الجارح ـ أصلاً ـ غير مرضى فى دينه وأمانته .... ألخ

**قال السخاوى** : « رأى ابن عبد البر أن أهل العلم لا يقبل فيهم

الجرح إلا ببيان واضح فاذا انضم إلى ذلك عداوة فهو أولى بعدم القبول »[1] .

ويقول السبكى : « بل الصواب عندنا أن من تثبت إمامته وعدالته ، وكثر مادحوه ومزكّوه وندر جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبى أو غيره ، فإنا لا نلتفت إلى الجرح فيه ، ونعمل فيه بالعدالة ، وإلا لو فتحنا هذا الباب أو أخذنا تقديم الجرح على إطلاقه لما سلم لنا أحد من الأئمة إذ ما من إمام إلا وقد طعن فيه طاعنون ، وهلك فيه هالكون »[2] .

## ثالثا ، التثبت من الأخبار

وهذه القاعدة أصل عظيم فى تلقى الأخبار والرواية والعمل بها والأصل فيها هو قوله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾ ( الحجرات : ٦ ) .

**يقول الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطى** ـ رحمه الله تعالى ـ : ( وقد دلت هذه الآية من سورة الحجرات على أمرين :

**الأول منهما** : أن الفاسق إن جاء بنبأ ممكن معرفة حقيقته ، وهل ما قاله فيه الفاسق حق أو كذب ؟ ، فإنه يجب فيه التثبت .

---

(١) انظر « فتح المغيث » ( ٣ / ٣٢٨ )

(٢) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » ( ٢ / ٩ ) .

**والثانى** : هو ما استدل عليه أهل الأصول من قبول خبر العدل ، لأن قوله تعالى ﴿ **إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ يدل بدليل خطابه ، أعنى مفهوم مخالفته أن الجائى بنبأ إن كان غير فاسق بل عدلاً لا يلزم التبين فى نبئه على قراءة : فتبينوا ، ولا على التثبت على قراءة : فتثبتوا وهو كذلك » [1] .

* **وينبغى هنا التنبيه إلى أمرٍ مهم** ، وهو ما قام به علماء الرجال فى نقدهم فى التفريق بين الضابط وغير الضابط والحافظ وغير الحافظ .

وليس المقام مقام عن منهج علماء الرجال فى الجرح والتعديل ، بقدر ما هو بيانٌ للمنهج السليم فى تلقى الأخبار عامة وفى كل الأمور ، سواء كانت فى رواية الأحاديث أو فى نقل الفتاوى عن العلماء ، أو فى نقل كلام أشخاص آخرين .. ألخ فإنه يجب التفريق بين الراوى للخبر إذا كان جيد الحفظ أو سيىء الحفظ وإذا كان جيد الفهم أو رديء الفهم ، أو جيد التعبير أو رديئه ، فضلاً عن التثبت فى صدقه وأمانته .

فإن الخبر إذا جاء به إنسان سيىء الحفظ أو سيىء الفهم أو رديء التعبير عن الكلام فهذا لابد من التثبت من خبره ، لأن الغالب عليه أنه ينقص من الخبر ما يكون فيه تقييد لما أطلق أو تفسير لما أجمل وما شابه ذلك ، أو تعبير عنه بفهمه السقيم فيجعل الأمر عكس مراد المتكلم ، ويذكر عنه كلاماً لم يقُلْه ولم يُرِدْه المتكلم ، أو ينقص منه ما هو مهم فى الحقيقة ، غير مهم فى نظر الناقل السيىء الفهم ، أو يعبر عما فهمه بتعبير خاطىء يفهم منه المستمع خلاف مراد المتكلم ، وقد تجتمع كل هذه

---

(١) انظر « أضواء البيان » ( ٧ / ٦٢٧ ) .

الأمور فى شخص واحد فتكون الطامة فى نقله للأخبار .

ومن كانت فيه إحدى هذه الصفات أوقريب منها ، فضلاً عن جميعها فمثله لابد من التثبت من أخباره ـ إن كانت مهمة ـ أو الإعراض عنها بالكلية ، إن لم يكن لها أهمية .

*** وفى هذا العصر كثيراً ما ينقل أناس فتاوى عن علماء خلاف ما أفتى به العالِم ، وما ذلك إلا بسبب سوء حفظهم وسوء فهمهم . وأحياناً يُضاف إليها سوء تعبيرهم ، والواقع أكبر شاهد !!**

* وكذلك كثيراً ما تتناقل أخبار عن شخص أو هيئات لا أساس لها من الصحة وما ذلك إلا بسبب من الأسباب الآنفة الذكر ، هذا إذا حملنا المتكلم على الصدق والبراءة من تهمة الكذب .

**يقول الحسن البصرى** – رحمه الله تعالى : **« المؤمن وقاف حتى يتبين »** [1] .

**فالضابط فى هذه المسألة** : أن من عُرف عنه الصدق والدين ، وجودة الحفظ والفهم وحسن التعبير والأداء ، فإننا نقبل خبره دون تثبت ، ومن اختلت فيه صفة من هذه الصفات ، أو ما شابهها ـ مثل كلام الأقران بعضهم فى بعض ـ فإنه يحتاج إلى التثبت فى خبره ، وخاصة إن كان الخبر يترتب عليه أموراً مهمة .

**وقد قيل « وما آفة الأخبار إلا رواتها ؟ » .**

---

(١) إنظر « الفتاوى » ( ١ / ٣٨٢ ) .

وفى نقل الأخبار ، سواء كانت فتاوى عن علماء ، أو كلام صادر من أشخاص أو هيئات ، فالأصل فيه نقل الكلام بنصه كاملاً ما استطاع إلى ذلك سبيلاً تجنباً للوقوع فى بعض الآفات المذكورة آنفاً ، وفى الحديث إشارة إلى هذا المعنى فى قوله ﷺ ( **نضر الله عبداً سمع مقالتى فحفظها ووعاها وبلغها من لم يسمعها ، فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ..** ) [1] .

ففى قوله ﷺ ( **فحفظها ووعاها** ) إشارة إلى أداء الكلام بنصه وفى قوله ﷺ « فرب حامل فقه لا فقه له » إشارة إلى صاحب الفهم الضعيف وفى قوله ﷺ ( **ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه** ) إشارة إلى تفاوت الأفهام وأن سامع الخبر قد يستنبط مما سمع ما لم يستنبطه الراوى . وهذا الحديث من جوامع الكلام الذى أوتيه الرسول ﷺ .

## رابعاً : رد الغيبة على المغتاب

ثبت عن النبى ﷺ أنه قال : ( **من ذب عن عرض أخيه بالغيبة كان حقاًعلى الله أن يعتقه من النار** ) [2] .

ومن سمع الغيبة ورضى فهو مشارك فى الإثم للقائل ، كما أن ردّ الغيبة عن عرض أخيه له أجر عظيم « **كان حقاً على الله أن يعتقه من النار** » .

**وكان السلف عليهم رضوان الله يعملون على رد الغيبة على المتكلم .**

---

(١) انظر « مسند أحمد » ( ٤ / ٨٢ ) وصحيح الترغيب والترهيب ( ٨٧ ) .

(٢) أخرجه أحمد ( ٦ / ٤٦١ ) وانظر « صحيح الجامع » برقم ( ٦٢٤٠ ) .

**قال سفيان بن الحصين** : « كنت جالساً عند إياس بن معاوية ، فمرّ رجل فنلت منه فقال : اسكت . ثم قال لى سفيان : هل غزوت الروم ؟ قلت لا . قال هل غزوت الترك ؟ قلت : لا قال . سلم منك الروم وسلم منك الترك ولم يسلم منك أخوك المسلم ؟ ! قال فما عدت إلى ذلك بعد » [1] .

**وذُكِرَ عن إبراهيم بن أدهم** ـ رحمه الله تعالى ـ « أنه أضاف أناساً ، فلما قعدوا على الطعام ، جعلوا يتناولون رجلاً . فقال إبراهيم : إن الذين كانوا قبلنا ، كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز » [2] .

*** ولذلك ينبغى لكل مسلم غيور على دينه ألا يرضى أن يُغتاب بحضرته أحدٌ من الناس** ، لأنه إن رضى فقد شاركهم فى الإثم ، وإن لم يستطع أن يردهم عن معصيتهم فلا ينبغى له أن يبقى معهم فى المجلس ، بل يخرج منه .

*** كما ينبغى أن يحذر من الوقوع فى الغيبة بحجة تقويم الرجال ومصلحة الدعوة ؟ !**

فإن هذا منزلق وقع فيه كثير من الناس ، يظنون أن ما يقومون به من غيبة إخوانهم هو من باب المصلحة والنصيحة وفى الحقيقة تكون دوافعهم أخرى خفية لم ينتبهوا إليها [3] .

---

(١) انظر « تنبيه الغافلين » ( ١ / ١٧٨ )

(٢) انظر « تنبيه الغافلين » ( ١ / ١٧٦ )

(٣) وقد تكلم شيخ الإسلام ابن تيمية بكلام مهم ونفيس عن بعض الدوافع الظاهرة والخفية للغيبة ، انظر « مجموع الفتاوى » ( ٢٨ / ٢٣٦ – ٢٣٨ ) .

## خامساً : كلام الأقران لا يقبل ويطوى ولا يروى

كلام الأقران يُطوى ولا يُروى ، وهى قاعدة قررها جمهور السلف رضوان الله عليهم . **يقول ابن عباس رضى الله عنه : « خذوا العلم حيث وجدتم ، ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض ، فإنهم يتغايرون تغاير التيوس فى الزريبة »** [1] .

**وقال مالك بن دينار** : « يؤخذ بقول العلماء والقراء فى كل شىء إلا قول بعضهم فى بعض ـ فإنهم أشد تحاسداً من التيوس تنصب ، لهم الشاه الضارب ، فينب هذا من ههنا وهذا من ههنا » [2] .

**ويقول الذهبى** ـ رحمة الله تعالى ـ : « كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يعبأ به ، لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ، وما ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصراً من العصور سلم منه أهله من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس » [3] .

**ويقول ابن عبد البر** : « إن السلف رضوان الله عليهم وقد سبق من بعضهم فى بعض كلام كثير فى حال الغضب ، ومنه ما حمل عليه الحسد ، وكما قال ابن عباس ، ومالك بن دينار وأبو حازم ، ومنه على

---

(١) انظر « جامع بيان العلم وفضله » ( ٢ / ١٨٥ ) .

(٢) المصدر السابق ( ٢ / ١٨٥ – ١٨٦ ) وطبقات الشافعية الكبرى للسبكى ( ٢ / ٩ ) .

(٣) انظر « ميزان الاعتدال » ( ١ / ١١ ) .

جهة التأويل مما لا يلزم القول فيه ما قاله فيه ، وقد حمل بعضهم على بعض بالسيف تأويلاً واجتهاداً ، فلا يلزم تقليدهم فى شىء منه دون برهان ولا حجة توجبه » [1] .

وكلام الأقران بعضهم فى بعض الحامل عليه الحسد والتنافس فى المذموم ، سواء كان هذا التنافس فى أمور الدنيا كالتجارة والمناصب العالية ، أو فى أمور الآخرة كطلاب العلم والعلماء والدعاة وقلما يسلم منه أحد .

* **والقاعدة فى هذا الأمر** : أنه إذا بلغ المسلم قدحاً فى إخوانه وبان له أنه من قبيل كلام الأقران . فإنه يجب عليه أن يرده ولا يلتفت إليه.

وهذا المنهج هو الذى سار عليه السلف الصالح ، نبهوا عليه كابن عباس رضى الله عنه . ومالك بن دينار وابن عبد البر والذهبى وأمثالهم من أئمة السلف .

ومن أبرز من اتضح هذا المنهج فى كتبه ، الحافظ الذهبى ـ رحمه الله تعالى ـ حيث أورد عدداً من كلام الأقران بعضهم فى بعض ثم تعقبه بتعليقات جياد .

يقول – رحمة الله تعالى– قيل« كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى » [2] .

---

(١) انظر « جامع بيان العلم وفضله » ( ٢ / ١٨٦ – ١٨٧ ) .

(١) انظر « سير أعلام النبلاء » ( ١٠ / ٩٢ )

**ومن الأمثلة على كلام الأقران :**

(١) **قال الذهبي في ترجمة رجاء بن حيوة :** « قال مكحول : ما زلت مضطلعاً على من ناوأني حتى عاونهم عليّ رجاء بن حيوة ، وذلك أنه كان سيد أهل الشام في أنفسهم قلت ( الذهبي ) : كان ما بينهما فاسداً ، وما زال الأقران ينال بعضهم من بعض ، ومكحول ورجاء إمامان ، فلا يلتفت إلى قول أحد منهما في الآخر » السير (٤/ ٥٨٨) .

(٢) **وقال أيضاً :** « وأما كلام النسائي فيه ـ يعني أحمد بن صالح ـ فكلام موتور ، لأنه آذى النسائي وطرده من مجلسه فقال فيه : ليس بثقة » السير ( ١ / ٨٣ ) .

**وقال في موضع آخر :** « وكان سبب تضعيف النسائي له ، أن أحمد بن صالح كان لا يحدث أحداً حتى يشهد عنده رجلان من المسلمين أنه من أهل الخير والعدالة ، فكان لا يحدثه ويبذل له علمه ، وكان يذهب مذهب زائدة بن قوامة ، فأتى النسائي يسمع منه فدخل بلا إذن ، ولم يأته برجلين يشهدان له بالعدالة ، فلما رآه في مجلسه أنكره وأمر بإخراجه ، فضعفه النسائي لهذا » السير ( ١٢ / ١٦٧ / ١٦٨ ) .

(٣) **وقال الحسن بن محمد بن صابر :** « سمعت محمد بن يحيى ـ الذهلي ـ يقول : قيل لنا – لما ورد محمد بن إسماعيل البخاري نيسابور : اذهبوا إلى هذا الرجل الصالح فاسمعوا منه ، فذهب الناس إليه ، وأقبلوا على السماع منه ، حتى ظهر الخلل في مجلس محمد بن يحيى فحسده بعد ذلك وتكلم فيه » السير ( ١٢ / ٣٥٤ ) و تاريخ بغداد ( ٢ / ٣٠ ) .

**وقال الذهبى عما حدث بين الذهلى والبخارى** : « وما زال الكلام لكبار المتعاصرين بعضهم فى بعض لا يُلوى عليه بمفرده » السير ( ١٢ / ٢٨٥ ) .

**وقال السبكى** : « ولا يرتاب المنصف أن محمد بن يحى الذهلى لحقته آفة الحسد التى لم يسلم منها إلا أهل العصمة » انظر « طبقات الشافعية الكبرى » ( ٢ / ٢٣٠ ) .

ومن عدل الإمام البخارى ـ رحمه الله تعالى ـ الذى يُشاد بذكره ، ويحفظ له أنه على ما كان من الذهلى ، إلا أنه لم يتكلم فيه ولم يجرحه بشىء ، بل أخرج له فى صحيحه وهـذا خُلق كريم لا يقوم به إلا النبلاء ، والله يغفر لنا ولهم .

(٤) **قال الذهبى فى ترجمة مطين** : « وكان متقناً ، وقد تكلم فيه محمد بن عثمان بن أبى شيبة وتكلم هو فى ابن عثمان ، فلا يعتد غالباً بكلام الأقران **لاسيما إذا كان بينهما منافسة** ، فقد عدد ابن عثمان لمطين نحواً من ثلاثة أوهام **فكان ماذا ؟** ! ومطين أوثق الرجلين ويكفى تزكية مثل الدراقطنى له » السير ( ١٤ / ٤٢ ) .

(٥) **وقال فى ترجمة ابن منده** : قلت « لا يعبأ بقولك ـ يقصد أبا نعيم ـ فى خصمك للعداوة السائرة ، كما لا نسمع أيضاً قوله فيك ، فلقد رأيت لابن منده حطّاً مقذعاً على أبى نعيم وتبديعاً ، ولا أحب ذكره وكل منهما فصدوق فى نفسه غير متهم فى نقله بحمد الله » السير ( ١٧ / ٣٤ ) .

وما ذكرت من الأمثلة إلا ليعلم القارىء أن كلام الأقران بعضهم فى بعض لا يكاد يسلم منه إلا القليل ، ولذلك ينبغى على المسلم إذا بلغه كلام من كلام الأقران أن ينظر فيه ، فإذا تحقق أن الحامل عليه حسد ومنافسة ولا تدعمه الحجة أو لا فائدة فى الكلام أصلاً فعليه :

(١) **يرده ولا يقبله** .

(٢) **أن يطويه ولا يرويه** ، لتصفو النفوس ولا تحدث العداوة والبغضاء والتفرق . والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

**وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلون معك ، فالأمر فى ذلك إلى الله لا لهم** فإنه ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان من ضعف يقينك ، فلا تخفهم ولا ترجهم ، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك ، ولكن من حمده الله ورسوله فهو المحمود ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم » [1] .

ولأبى حازم كلمة جميلة جداً ، يقول ابن عيينة : سمعت أبا حازم يقول ( لا تعادين رجلاً ولا تناصبه العداء ، حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله ، فإن لم يكن له سريرة حسنة ، فإن الله لم يكن ليخذله بعداوتك وإن كانت له سريرة رديئة فقد كفاك مساوئه ، ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصى الله لم تقدر » [2] .

---

(١) انظر « الفتاوى » ( ١ / ٥١ - ٥٢ )

(٢) انظر « سير أعلام النبلاء » ( ٦ / ٩٨ ) . نقلاً عن « منهج أهل السنة والجماعة فى النقد والحكم على الآخرين » هشام الصينى ( ٤٧ - ٦٤ ) باختصار يسير .

## معنى لقاء الحركات الإسلامية وأهميته

لا نقصد بلقاء الحركات الإسلامية أن تذوب كلها فى هيكل تنظيمىٍ واحد . فالحركات الإسلامية اليوم تمثل واقعاً قائماً . إنها تمثل واقعاً جاء نتيجة لتاريخ طويل فى حياة الأمة المسلمة ، جاء استجابة لأحداث وقعت ولمسئوليات برزت ، ولأخطاء أحاطت .

فالذى نقصده إذن من لقاء الحركات الإسلامية هو قيام أسس ثابتة تلتزم بها جميع الحركات ، لتكون قاعدة منطقها ونهجها وأهدافها . ولتعين هذه الأسس على جمع جهود العاملين ، حتى تصبّ كلُّها فى مجرى خيرٍ واحد . ولتساهم كذلك فى إذابة أسباب الفرقة والتمزُّق ، وفى معالجة أهم المشكلات والأخطار القائمة فى واقعنا اليوم .

بعد ذلك يصبح التنافس بين الحركات الإسلامية هو ميدان السِّباق إلى الجنة على درب جلىّ فى ميدان إبداع النهج والخطّة ، وتطوير الأساليب وتنميتها ، فى نور الإيمان والتوحيد على أساس من مناهج الله ، حيث تساهم مواهب الأمة كلها فى الميدان ، دون أن تموت هذه المواهب المؤمنة فى تنافس ممزّق وحسدٍ قتّال ، فتبدع مواهب الإيمان والصدق عندئذ عطاءً وبذلاً وجهاداً ، فينظر الله فى عباده المؤمنين ، فيرى الصدق فى القلوب ، والنورِ فى الأنحناء ، والجود فى البذل والعطاء ، والزهد فى الشحناء والعداء ، فينزِل رحمته وينجز وعده ويشرق النصر من عنده .

أمام الجميع ، جميعِ الحركات الإسلامية ، جميع المسلمين ، أمام كل فرد مسلم صادق هدف عظيم فى الدنيا ، هدف بناء الأمة المسلمة الواحدة ، هدف الوحدة الإسلامية .

فالوحدة الإسلامية التى نقصدها ، ليست مجرد وحدة شكلية سياسية تتصارع فيها المذاهب والتيارات . كلا !

إننا نقصد بالوحدة الإسلامية أمراً ربّانيا ، أمراً من الدين ، تكليفاً من الله سبحانه وتعالى .

فلابُد إذن من أن تحمل خصائصها الرَبّانيّة ونهجها الربّانى .

إنّ هذه الوحدة التى نقصدها بناء الأمة المسلمة الواحدة التى أمر الله بقيامها ، الأمة التى تحمل رسالة الله إلى الناس بعد النبوّة الخاتمة ، الأمة التى تنهض لتوفى بحقّ الأمانة التى حملتها ، وواجب الخلافة التى جُعلتْ لها فى الأرض ، في عبادة صادقة لله ، تمضى بها لتقيم حضارة الإيمان وعمارة التوحيد . أمّة ولاؤها لله وحده ، وعبوديتها لله وحده ، فى سعى يصدق رأية ، وجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة ، ليكون جنودها وأبناؤها شهداء على الناس حقّاً ، شهداء على الناس كلّهم فى جميع العصور والأجيال :

﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ ( الحج : ٧٨ ) .

هذه الوحدة التى نهدف إليها تدور كلُّها حول محور أساسى واحد : ( واعتصموا بالله ... ) بكل معانى الاعتصام وآفاقه ، حتى يكونوا شهداء على الناس .

ويقول بن عطية في تفسيره : « وأسند الطبرى إلى قتادة أنه قال : أُعطيت هذه الأمة مالم يعطه إلا نبيّ : كان يقال للنبى أنت شهيد على أمتك وقيل لهذه الأمة : ( **وتكونوا شهداء على الناس** ... ) [1] .

هذه الأمة هى دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

**﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم ﴾** ( البقرة : ١٢٨ ) .

هذه الأمة المسلمة هى أعرق أمّة فى الأرض . إنها ضاربة بجذورها مع كل الأنبياء والمرسلين ، ممتدة فى التاريخ حتى تقوم الساعة ، تحمل أشرف رسالة ، وتمضى إلى أعظم هدف إلى الجنة . يصفها ربُّها فى سورتى الأنبياء والمؤمنون فيقول سبحانه وتعالى :

**﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾** (الأنبياء : ٩٢).

**﴿ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون ﴾** (المؤمنون : ٥٢) .

وعندما هاجر الرسول ﷺ إلى المدنية المنورة ، وكان فى المدينة المهاجرون والأنصار واليهود ، وكان فيها قبائل شتى من هؤلاء وهؤلاء ، كتب كتابه المعروف يحدّد المؤمنين ويعرّفهم ، وينظّم العلاقات والحقوق والواجبات . ومن هذا الكتاب الهام نأخذ بعض القبسات من كلمات النبوة [2] ، لنعلم بعض الخصائص الأساسية التى لا غناء عنها فى حياة

---

(١) تفسير ابن عطية ( ١٠ / ٣٢٧ ) . تفسير الطبرى ( ١٧ / ٢٠٨ ) .

(٢) مجموعة الوثائق السياسية - د محمد حميد الله . دار الإرشاد - ١٣٨٩ هـ ١٩٦٩ بيروت ـ لبنان ( ص : ٤١ ) .

المؤمنين العاملين ، ولا فى بناء الأمة الواحدة ولا فى لقاء الحركات الإسلامية :

١ – أنهم أمة واحدة من دون الناس .

٢ – وأن المؤمنين المتقين أيديهم على كل من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة ظلم ، أو إثماً ، أو عدوانا ، أو فساداً بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعاً ، ولو كان ولد أحدهم .

٣ – وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس .

٤ – وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

٥ – وأنّ المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه .

٦ – وأنه لا يحل لمؤمن أقّر بما فى هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

٧ – وأنكم مهما اختلفتم فيه من شىء ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد ﷺ .

**نصوص واضحة ترسم خصائص الأُمة المسلمة الواحدة الأمة التى أمر الله بها ورسوله .**

نصوص فاصلة حاسمة تجمع المؤمنين صفاً واحداً كالبنيان المرصوص ، وتميزهم عن غيرهم من أهل الأرض ، بما يحملون من عهد وأمانة ، وعدل ووفـاء ، ونهج وصلاح ، يصلحون فى الأرض ولا

يفسدون ، وهم أقوياء أعزّاء ، خير للناس كلهم بصدقهم مع الله ، وولائهم لله ، وعهدهم مع الله .

فأىُّ أمة فى الأرض أشرف وأجل ؟ ! وأى انتساب أكرم وأعز :

فحيثما كان ذكر الله عُدْتُ إلى : حبْلٍ من الله مَوْصولٍ ومُنْعَقِدِ

أنا إنتسابى إلى الإسْلاَم كُلُّ هوى : قاضٍ ويبْقَى هَوَى دِينى ومُعْتَقدى

هذه هى الأمة ، وهذه هى الوحدة التى تعنيها ! ومن هنا يبرز أحد أوجه أهمية لقاء المؤمنين الصادقين العاملين على المعنى الذى عرضناه ، والغاية التى حددناها .

إن الفرقة بين القوى الإسلامية تدمير لطاقات مؤمنة كثيرة ، وتعطيل لمسيرة بناء الأُمة الواحدة ، وشقاق يفتح منافذ للأعداء يتسللون منها .

وإن لقاء العاملين المؤمنين على الصورة التى عرضناها ، يجمع الجهود والمواهب فى سباق كريم ، وتنافس كريم ، إلى بناء الأمة المسلمة الواحدة ، فى أُمة عظيمة تسعى إلى هدف عظيم :

﴿ ... وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ( المطففين : ٢٦ ) .

إنها النيّة الخالصة لله ، المبرأة من الهوى والشهوات النقية من أوشاب الجاهلية وأوحال الدنيا ، النيّة التى تجمع المؤمنين فى لقاء المؤمنين ، النيّة التى تمهّد الدرب وتوفّر الفرصة والأسباب وتجمع العزيمة والإرادة .

كثير من الناس يعلق أمر لقاء المؤمنين الصادقين العاملين على ظهور الرجل الواحد الفذّ القائد الملهم ، حتى يلتفّ الجميع حوله . فالمؤمنون

الصادقون العاملون لا ينتظرون أحداً حتى يلتفوا .

إن إيمانهم وصدقهم وبذلهم ، تكوّن كلها عناصر كافية للقائهم . ليس من الحكمة تعطيل لقاء المؤمنين العاملين حتى يظهر الرجل الملهم الفذّ ، فلقاء المؤمنين فى الأرض هو من مسئوليتنا ، من مسئوليات الإنسان . أما ظهور الرجل الملهم فليس أمراً نقرره نحن ، إنه من قدر الله . فلا يحل إذن التهاون والاسترخاء حتى يظهر الرجل الفذُّ .

ولقاء الطاقات الإسلامية لا تحقّقه المجاملات والمظاهر السطحية التي تتجاهل حقيقة الداء . فالسعى إلى لقاء العمل الإسلامىّ واجب شرعىٌ لا يجوز أن يتعطل وإذا كان هذا اللقاء هو ضرورة شرعية يأمر بها الله سبحانه وتعالى فإننا نؤكد كذلك بأن الله سبحانه وتعالى قد وضع للمؤمن أُسسَ لقائهم وحددَّ قواعد التعاون ، حتى لا يكون هذا الأمر عرضة للتمزُّق فى صراع الأهواء والاجتهادات الفردية المتفلّتة .

إذن علينا أن نبحث فى منهاج الله قرآناً وسنّة ، عن أسس لقاء المؤمنين ، هناك إذن نبحث لا فى أمواج أهوائنا وأعاصير شهواتنا . هناك إذن نبحث فى منهاج الله عن أسس اللقاء ، فنجمعها ثم نطرحها بين أيدى الناس منهجاً عملياً يُتلى به المؤمنون ، ليُرى مدى التزام الدُّعاة بأمر الله ، ومدى تخليهم عن العصبيات الجاهلة ، والأهواء الفردية ، ومدى جدّية العاملين فى بناء الأمة المسلمة الواحدة . وبذلك نرى حقيقة الميزان الذى يزن الصحوة الإسلامية وجدّيتها وأمانتها .

الأساس أن يكون فى الأرض دعوة إسلامية واحدة ممتدّة مع الزمن كله هى امتداد دعوة محمد ﷺ ، هى امتداد دعوة الله فى الأرض ،

وبلاغ الأنبياء للناس . إن الله سبحانه وتعالى أمر أن تمضى الدعوة الإسلامية فى الأرض لا يعطلها شىء ، حتى لو كان ذلك وفاة النبى محمد ﷺ وانتقاله إلى جوار ربه :

**﴿ وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزى الله الشاكرين ﴾** ( آل عمران : ١٤٤ ) إنها دعوة لله واحدة لا تتجزأ ، ودين لله واحد هو دين الإسلام ، ورب واحد للكون لا إله إلا هو رب العرش العظيم . ويظل الارتباط النفسىّ والفكرى والإيمانى بهذه الدعوة الواحدة الممتدة ، بهذه الجذور العميقة فى تاريخ الإنسان ، الجذور الضاربة فى الأرض والزمن أمارةً من أمارات الصحوة .

فإذا قامت حركات إسلامية ، أو تجمعات إسلامية ، يفرضها الواقع فى مرحلة من مراحل التاريخ ابتلاءً منه سبحانه وتعالى وتمحيصاً للمؤمنين ، فلابد أن يكون جوهر الممارسة الإيمانية فى أى حركة أو تجمع يمثل حقيقة الارتباط بهذه الدعوة الربّانية الواحدة الممتدة من هذا الارتباط النفسىّ والفكرى يتولد العنصر المهىء للقاء المؤمنين ، للقاء الحركات الإسلامية .

وقد يحمل كل تجمع اسماً أو شعاراً يُعرف به بين الناس ، فتظل هذه الأسماء والرموز تمثّل جهداً بشرياً يعبّر عن ناحية من نواحى الدعوة ، أو معنى محدوداً من معانيها ، أو ميداناً محدّوداً من ميادينها .

فلا يجوز أن يتحوّل إلى عصبية جاهلية يعلو بها فوق الولاء لله . ولكن يظل الولاء لله هو الولاء الأعلى والأسمى ، ومنه ينبثق أىُّ ولاء

آخر فى حياة المؤمنين ويرتبط به . فإذا لم يتحقّق هذا الارتباط فإن الولاء المتفلّت من الولاء لله يضبح عصبية جاهلية مفرّقة للناس ممزّقة للجهود .

يجب أن يظل الولاء لأى تجمع إسلامى ولاءً يحمل قدره الشرعى وصدقه الإيمانى بمقدار ما تحمل الحركة نفسها من ارتباط إيمانى تطبيقى مع دعوة الله الجامعة ، عن طريق مناهج تفصيليه تبيّن هـذا الارتباط ، وممارسات عملية تكشف صفاء الارتباط لتقدم المناهج التفصيلية والممارسات الإيمانية الحجـة والبرهان على أمانـة الارتباط وعدالة الولاء .

ويصدق الأمر نفسه على العهود ، حين يصبح كل عهد يقيمه المؤمن فى حياته عهداً نابعاً من عهده مع الله ، مرتبطاً به .

وعلى هذه الأسس يصبح من واجب كل حركة إسلامية أن تضع مناهجها التفصيلية لكل ميادين نشاطها الذى تختصّ به ، مناهجها التى تثبت سلامة العهد والولاء ، وصدق الارتباط بحقيقة الدعوة الإسلامية الواحدة . فترتبط الجهود عندئذ وتتناسق وتتلائم لتصب كلها فى مجرى الخير والعطاء .

ويصبح التنافس بين الحركات الإسلامية هو فى ميدان السباق إلى طاعة الله ، والسباق إلى تطوير المناهج التفصيلية ، لدفع العمل الإسلامى إلى درب القوة والعزّة وبناء الأمة المسلمة الواحدة .

فلقاء الحركات الإسلامية يمثّل ميزاناً حقيقياً للصحوة الإسلامية ، وعاملاً رئيسياً فى سبيل تحقيق الهدف الثابت العظيم ، بناء الأمة المسلمة الواحدة التى تخشع لله ويحمكها منهاج الله ، ويرى الناس فيها أن كلمة الله هى العليا .

وتمتدّ الصحوة الإسلامية فى الأرض لتمثّل عمقَها الإيمانى وعمقها الإنسانى لتنشر العدل والأمن والأمان بين الناس ، والإخاء والمساواة بين المؤمين ورعاية حقوق خلق الله كلهم ، على شريعة الله .

فى واقعنا اليوم ، فى الحركات الإسلامية « وجهات نظر وآراء » دفعها بعض الدعاة لتمثل رأياً . ولا نظنّ أنّ أحداً يمكن أن يجعل من رأى شخصىّ حيّاً مطلقاً وقاعدة من قواعد الدين والإيمان . ولا نظنّ أن أحداً يمكن أن ينزلق ليُنزِل « وجهة نظره » على أنها هى وحدها حكم الله ورسوله ، وأنها حكم الإسلام . فلابدّ إذن من التريُّث والهدوء حتى تجلى أحكام الإسلام وحقائقه وقواعده الربّانية أمام الناس ، وحتى تستقرّ فى القلوب والأحناء ، وتسير مع العروق والدماء فلا تختلط الرؤية ! .

إن من يدعو إلى دين قومى ، وإلى رابطة عنصرية ، وإلى تكتل وطنىّ إقليمى ، لا يحقّ له أن يعتبر أنّ دعوته هذه هى الإسلام .

لم تعد تستطع الحركة الواحدة أن تجابه الواقع القاسى والمؤتمرات الدولية وحدها . فلابد من أن تتناسق الجهود حتى يقف الصفّ المؤمن الواحد أمام الهجمة الشرسة والكثير الماكر . ولم يعد أى قطر كذلك يقوى على مجابهة الأحداث وحده .

إنها أُمة الإسلام . وأُمة الإسلام فقط ، هى التى تستطيع أن تنازل الأعداء وكيدهم . وهى التى أمر الله بقيامها ، وأناط بها المسئوليات العظام فى الأرض ، هى وحدها التى وعدها الله بالنصر إن آمنت وعملت الصالحات وصدقت ربّها :

﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى

الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون ﴾ ( النور : ٥٥ ) .

جلاء وبيان ، وقطع لكل ريبة وتردّد وحَيرة ، ودرب مستقيم إلى الجنة . إن الإيمان ﴿ الذين آمنوا منكم ﴾ والعملِ الصالح ﴿ وعملوا الصالحات ﴾ لا تقدِّرهما أهواؤنا ومصالحنا الذاتية وأوهامنا ، إنما يُقدِّرهما منهاج الله قرآناً وسنّة تفصيلاً وبياناً ، وحكماً وميزاناً .

وعندما يتحقّق الإيمان والعمل الصالح فى أُمة واحدة هى أُمة الإسلام ، وفى صفٍ واحد كالبنيان المرصوص ، على أساس منهاج الله وحكمه وميزانه ، وعندما يتحقق هذا يتنزّل نصر الله ، وينهزم أعداء الله ، وينجز الله وعده ، ويهزم الأحزاب وحده .

وقبل ذلك فتن وابتلاء وتمحيص ، على سنن لله ماضيه وقدر غالب[1] .

## البعد الإنساني

## للأمة المسلمة الواحدة

لا تقوم الأُمة الإسلامية الواحدة على أساس من هيكل سياسى واحد فحسب ولا على أساس من ارتباط مصالح اقتصادية فقط ، ولا على توحيد مناهج تربوية ، أو على التقاء أعراف وتقاليد ، ولغة وتاريخ ، وإن كانت كل هذه العوامل وكثير غيرها يمكن أن تكون دليلاً على وحدة

---

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟» للدكتور عدنان رضا النحوى (ص ١٠٧ - ١١٤).

الأمة ، أو مظهراً من مظاهرها ، أو رمزاً من رموزها ، أو عاملاً مساعداً على بنائها .

فالأُمة المسلمة الواحدة تقوم قبل كل شيء على جوهر صاف ، وتلتقى على أسس عميقة فى وجودها وكيانها . وتلتقى كلُّها حول محور واحد ثابت يجمعها .

إنَّ هذا الجوهر والمحور ، وإن تلك الأُسس العميقة كلها ، يمكن أن نعبّر عنها بكلمة « الحقّ » . إنه الحقُّ الذى يَقوم عليه الكون كله ، والخير كله . إنه « التوحيد » بإمتداد معاينه ومداه إلى جميع آفاق الحياة الدنيا ، إنه التوحيد الذى يربط الحياة الدنيا بالآخرة ، إنه التوحيد الذى شاء الله أن يكون له أُمة فى الأرض تحمله رسالةً ونهجاً ، ونجاهد فى الحياة الدنيا من أجله ، لتنشره فى الأرض صلاحاً وخيراً ، براً وإحساناً .

هذه الأمة التى شاء الله أن تقوم فى الأرض ، لتحمل رسالة الله إلى الناس ، على مدى العصور والدهور ، وهذه الأُمة هى أُمة الإسلام ، أُمة التوحيد ، أُمة لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، فعلى هذا الأساس تقوم هذه الأُمة وهذا هو جوهرها ، وهذا هو محور كيانها ووجودها

**﴿ إن هذه أمتكم أُمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾** (الأنبياء : ٩٢) .

هذه الأُمة التي امتدت مع تاريخ الإنسان كله فى الأرض ، لتمثل أشرف انتساب وأعزّ أُمة ، ولتمثّل جوهر الخير والصلاح ، وحقيقة الأخوة والحرّية ، وأمانةَ العدالة ، وقوة الأمن ، وبهجة السعادة ، هذه الأُمة لم تعد حاجة العرب وحدهم ولا حاجة منطقة الشرق الأوسط ، ولا حاجة أى شعب محدود أو قطر محدود إنها حاجة الإنسان حيثما كان ، حاجة

الشعوب ، كلها والأقطار كلها والعصور كلها إنها الهواء والماء للإنسان ، وإنها الغذاء لوجوده الصادق كله . إنها السلام الصادق والأمن والأمان والحرية والعدالة والإخاء ، فى أصفى معانيها ، لمن يريد أن يكون هذا حقاً قوم الحياة عليه ، لا شعاراً زائفاً وزخرفاً كاذباً تتاجر به الثورات والشهوات والأهواء والمصالح الدنيوية المادية المتصارعة .

من أجل الإنسان ومسئوليته فى الحياة الدنيا من خلافة وعبادة وأمانة وعمارة من أجل تحقيق عبوديته لله ، ووفائه بعهده مع الله ، من أجل ذلك كله يكون قيام الأُمة المسلمة الواحدة فى الأرض ضرورة لاغناء عنها .

وسيظل غياب هذه الأُمة عن حياة الإنسان فى الأرض سبباً لفوران الشهوة والفساد والإجرام فيها .

ولقد بعث الله محمّداً ﷺ نبياً ورسولاً ، مبشراً ونذيراً ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، عندما امتد الفساد فى الأرض وظهر . فكان قيام الأُمة الإسلامية أو امتدادها آنذاك ضرورة لصلاح الإنسان وخيره ، ضرورة حضارية ، إنسانية ، ايمانية .

ويصف القرآن الكريم فترة البعثة النبوية ، وضرورة قيام الأُمة المسلمة ، لتحمل رسالة الله فى الأرض ، بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **ظهر الفساد فى البر والبحر بما كسبت أيدى الناس ليذيقهم بعض الذى عملوا لعلهم يرجعون . قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل كان أكثرهم مشركين . فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لا مردّ له من الله يومئذٍ يصدّعون . من كفر فعليه كفره ومن**

**عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ﴾** ( الروم : ٤١ - ٤٤ ) .

لابُدَّ أن نعى هذه الحقيقة وعياً كاملاً ، لندرك خطورة القضية التى نعرضها : قضية قيام الأمة المسلمة الواحدة فى الأرض . ولندرك كذلك مدى الإفساد الذى يقع فى حياتنا وفى حياة الإنسان عامة فى الأرض إذا تهاونا فى تحقيق هذه القضية ، ولندرك عظم الجريمة التى يرتكبها الظالمون بحق الإنسان ، وبحق الشعوب كلها ، حين يصدون عن سبيل الله ، وحيث يقاومون مسيرة الحقّ ويقاومون بناء الأمة المسلمة فى الأرض .

ولابد كذلك أن تدرك الحركات الإسلامية هذه الحقيقة ، لتعلم مدى مسئوليتها فى قضية قيام الأُمة المسلمة الواحدة ، ومدى الخطر الذى يتحقق نتيجة الشقاق والتدابر ، والتمزّق والشتات ، وضياع الجهود ووهنها .

وإذا كان لقاء الحركات الإسلامية أمراً ضرورياً لبناء الأُمة المسلمة الواحدة فإن الضرورة تنشأ ما دامت الحركات الإسلامية صادقة فى نهجها زاهدة فى شهوات الدنيا ، مقبلة على نعيم الآخرة ، مدركة عِظَم مسئوليتها بحق الإنسان . فالله سبحانه وتعالى قادر على أن يضع هذه المسئولية على أكتاف رجالها الصادقين الثابتين ، إذا تولّى الضعفاء والمنافقون.

**﴿ ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه والله الغنى وأنتم الفقراء وإن تتولّوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾** ( محمد : ٣٨ ) .

وإذا كان قيام الأُمة المسلمة الواحدة أمراً من عند الله ، وقاعدة من

قواعد هذا الدين فلابُدَّ أن يكون الله سبحانه وتعالى قد وضع فى دينه الأُسس التى يجب أن يلتقى عليها المؤمنون ، كذلك الأُسس التى تلتقى عليها الحركات الإسلامية ، لتتجمّع الجهود المؤمنة الصادقة كلها فى مجرى خيرٍ واحد حتى لا تتبدّد وتتمزّق .

إذن فلننظر فى دين الله ، فى كتاب الله وسنّة رسوله ، لنبحث هناك عن الأُسس التى يجب أن نطرحها فى واقعنا اليوم ، لتلتقى عليها الحركات الإسلامية ، وليقوم لِقاء المؤمنين على طريق بناء الأُمة المسلمة الواحدة كما ذكرنا سابقاً .

ومن هذا المنطلق ، يجب أن ندرس واقعنا ، لندرك ما هى أخطر القضايا التى يجب أن نثيرها ، لنعالج القضية المطروحة ، قضية جمع جهود الحركات الإسلامية جمع جهود المسلمين لبناء الأُمة المسلمة الواحدة .

فمن كتاب الله إذن وسنة رسوله ﷺ ومن رؤية الواقع الذى نعيش فيه من خلال منهاج الله ، من هذا كله نقدّم عرض الأُسس التى نتصوّرها ، ونعتبر أنها أساسية فى لقاء المؤمنين ، وجمع جهود الحركات الإسلامية ، على طريق بناء الأُمة المسلمة الواحدة .

ومع كل آية أو حديث نجد حقيقة البعد الإنسانىّ لأهمية قيام الأُمة المسلمة . للقاء المؤمنين ، حتى يصبح لقاء المؤمنين أمل الإنسان فى الأرض كلها ، وحتى يصبح قيام الأُمة المسلمة الواحدة فى الأرض حاجة كل مظلوم وأُمنية كل صادق . إلا عصابة المجرمين ، طغمة المفسدين ، وزهوة الظالمين المعتدين ، إلا أولئك الذين يعيشون على نهب الثرواث ،

وسحق الإنسان ، أو تخدير العباد حتى يسكنوا ويلينوا ، إلا أولئك فإنهم لن يجدوا فى قيام الأُمة المسلمة الواحدة راحة لهم أبداً . سيحاربونها ما أمكنهم ذلك ، حتى يبقى لهم « نعيم » اللصوص و « متعة » الإجرام .

إن السعى الجادّ إلى بناء الأُمة المسلمة الواحدة على جوهر التوحيد وقواعد الإيمان على كتاب الله وسنة رسوله ، على الحق الذى تقوم عليه السموات والأرض إن هذا السعى الجاد هو حقيقة الصحوة الإسلامية وجوهرها .

إن التوحيد بكل صفاته وجلاله هو جوهر قيام الأُمة المسلمة الواحدة ، وهو جوهر لقاء المؤمنين . ويحمل التوحيد ذاته أقوى إشارة إلى البعد الإنسانى فى قيام الأُمة الواحدة ، حيث يكون التوخيد جوهر فطرة الإنسان حيثما كان ، جوهر وجوده ماضيه وحاضره ومستقبله ، جوهر دنياه وآخرته . فالتوحيد هو أصدق علاقة إنسانيّة ، وأطهر صله بين الشعوب وأقوى عُرْوَة بين المؤمنين ، ما دام التوحيد صادقاً صافياً .

من هذا البعد الإنسانى لقيام الأمة المسلمة الواحدة ، يحمل المؤمنون فى الأرض مظهراً من مظاهر الصحوة ، وقوة من قوى العمل ، ليخاطبوا العالم كله ، من كلّ منابره ، بالآيات البينات والأحاديث الشريفة التى تجلو هذه الحقيقة ، وتجلو منهجها الصادق الأمين ، وتقيم عزّتها الصادقة الأمينة .

إننا حين نبرز هذا البعد الإنسانى ، لا نبرز معه الكفر والإلحاد . إن كرامة الإنسان تنهار فى تربة الكفر والإلحاد ، وقد جعل الله الكافرين كالأنعام بل أضل !

وإذا كان الإسلام يحترم حقوق الإنسان من حيث إنه إنسان ، فإنها حقوق لا تهبه الكرامة الحقّة والعزة الطاهرة إلا أن يؤمن بالله وحده لا شريك له .

إن رغيف الخبز والكساء والمأوى ، والماء والهواء ، حق للإنسان حتى يعيش فيُبتَلَى ويُمحّص . ولكن رغيف الخبز لا يهبه الكرامة والعزة .

وربما ينطلق داعية من الدعاة المسلمين ليدافع عن كرامة الإنسان من حيث إنه إنسان . مهما كان مذهبه ومعتقده . كافراً أو من أهل الكتاب ، أو مجوسياً أو وثنياً أو غير ذلك . ونعجب من هذه الدعوة لسبب بسيط . ففي واقعنا اليوم يجد معظم هؤلاء حقوقهم ، إلا الإنسان المسلم الذي يُسحق ويُذلّ بسبب إيمانه ، ولا يجد من يدعو لحماية كرامته وحقوقه ، ويتطلّع الداعية المسلم ناسياً ذلك كله ، ليدعو إلى حماية كرامة الإنسان الوثنيّ الملحد ، وهي محمية بين أهله الوثنيين ! .

وإن أول حماية لكرامة الإنسان ، وأول حق من حقوقه ، هو أن تبلغه رسالة الله وأن تصان فطرته ليتلقّى الرسالة بصفائها ، وأن ينال الرعاية والإعداد حتى يتدرب على ممارسة الإيمان وقواعده ، كما يتدرب على الكلام والمشي والطعام وخلاف ذلك [1] .

---

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوي (ص ١١٥ - ١١٩) .

# النظريـة العامـة
# للدعوة الإسلامية وأسسها

إن قيام نظرية عامة للدعوة الإسلامية ، وإن تحديد الأُسس الأولية الكبيرة ضرورة لاغناء عنها فى مسيرة العمل الإسلامى لأنها توفر شروطاً هامة وعناصر مؤثرة فى سلامة كل حركة إسلامية ، وفى حماية أجواء اللقاء ، لقاء المؤمنين . ويجب أن تنبع هذه النظرية العامة والأُسس من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ، ومن حاجة الواقع الذى تعانى منه اليوم ، ومن النهج العام للدعوة الإسلامية ، النهج الممتد مع الزمن ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

لذلك نضع أربعة أُسس رئيسية لنظرية الدعوة ، وتؤخذ كلها معاً ، لا يغنى بعضها عن بعض فى ميدان العمل والممارسة والدعوة .

ونوجز هذه الأُسس الأربعة بما يلى :

١ - بناء التصوّر الإيمانى والتوحيد ، فى النفوس على صفائه القرآنىّ .

٢ - دراسة منهاج الله ، قرآنا وسنة ، دراسة منهجية على تدبُّر وإيمان وتصديق .

٣ - دراسة الواقع البشرى من خلال منهاج الله .

٤ - ممارسة منهاج الله فى الواقع البشرى ممارسة تحمل التقوى ، والتدريب المنهجىُّ على ذلك .

ولابد من إعطاء موجز عن كلّ أساس من هذه الأُسس حتى نبيّن مدى أهمية كل أساس ، ومدى حاجتنا إليه اليوم فى واقعنا ، ومدى مطابقته لمنهاج الله قرآناً وسنة :

**١ - بناء التصور الإيمانى والتوحيد فى النفوس على صفائها القرآنى .**

فى الأرض مليار مسلم ، كما يمكن أن تبين الإحصاءات ، هذا بمقياس الظاهر لنا على حسب الهوية والانتساب . فهل حملَ هؤلاء حقيقة التصور الإيمانى وحقيقة التوحيد ؟ ! إن واقعنا اليوم واقع المجتمعات الإسلامية ، يكشف بصورة قطعية عن وجود اضطراب فى التصوّر الإيمانى والتوحيد ، نتج عنه اضطراب فى الفكر المطروح وتناقض فى المواقف والسلوك ، واصطدام بين الجماعات ، واختلال الميزان فى أيدى الناس .

إن اضطراب التصور الإيمانى والتوحيد لدى كثير من الناس ينشأ بصورة طبيعية ، عندما يضطرب المجتمع وتختل موازينه ، فتضطرب الفطرة وقد تنحرف . وغياب منهاج الله عن حياة المسلم اليومية وعن مناهجه الحياتية ، يحرمه من النبع الغنى الذى يروى الإيمان ويغذيه ، والذى يصون الفطرة ويحفظها . وامتداد هذا الغياب قروناً عديدة تمضى فى ظلمات الجهل ، لابد من أن يترك أثره فى الفكر والتصور الإيمانى والتوحيد . وإذا أضفنا إلى ذلك كله غياب القوة الموجهة والقدوة المعلمة ، رأينا أن الأثر السيىء يزداد والانحراف يتسع . ويأتى مع هذه العوامل كلها الغزو الطاغى من الغرب والشرق عسكرياً وفكرياً وعلمياً ، ويمتدّ هذا الغزو على مدى قرون ، يحمل معه فتنة الدنيا وزخارفها وزينتها من خمر ونساء وفساد وربا ، ومن فجور وزنا وظلم . ويأتى هذا كله فى حماية العلوم المادية المتقدّمة ، العلوم التى تغرى الناس حتى يحسبوا أنها الحق وأن الفساد الذى

تحمله حق . تأتى العلوم هذه متداخله مع كل أنواع الفجور ، حتى لم يعد باستطاعة المستضعفين فى الأرض أن يميزوا بين حقائق العلم وفساد الفجور .

هذه العوامل كلها أدت ، بصورة أو بأخرى إلى اضطراب التصوّر الإيمانى والتوحيد فى المجتمعات الإسلامية وإلى ظهور أفكار ومواقف متضاربة ، متناقضة ، تشير إلى هذا الخلل .

إن قضية التصور الإيمانى والتوحيد لم تبرز فى ميدان العمل الإسلامى قضية تحمل النهج والخطة لمقاومة عوامل الفتنة والانحراف ، تحت التوجيه الدائم والإشراف ، وإنا لنجد هذه القضية هى المحور الرئيسى لكل سورة من سور القرآن الكريم . بها يرتبط التشريع والأخلاق والعبادات لتظل تمثل فى منهاج الله القضية الأولى والحقيقة الكبرى فى الكون .

إن الموت الذى هو حق لا محيص عنه ، يجب أن يذكّر كل إنسان أن الحياة الدنيا هى الفرصة الوحيدة المفتوحة أمام الإنسان ليصحح إيماناً وتوحيداً ، ولا فرصة بعد ذلك أبداً ، ولن يفيده أهل ولا عشيرة ولا منصب ولا جاه ، ولا مال ولا سلطان .

إنه الإيمان والتوحيد والعمل بمقتضاهما ، والصدق فحسب :

**﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون . لعلى أعمل صالحاً فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون . فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون . ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون ، تلفح وجوههم النار**

وهم فيها كالحون ﴾ ( المؤمنون : ٩٩ - ١٠٤ ) وبلغت خطورة هذه القضية حدّاً عظيماً لا يغفر الله معه لعبد من عباده مات على الشرك أبداً، ولا يقبل فى ذلك عذراً ولا حجة أبداً . إنها القضية الفاصلة الحاسمة :

﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً ﴾ ( النساء : ٤٨ ) .

ومع هذه الخطورة البالغة لهذه القضية والأهمية القصوى ، برز فى ميدان العمل الإسلامي رغبة التجمع العددىّ على شعارات ومبادىء ، دون توافر المناهج التى تثبت هذا الشعار أو القاعدة ، وتكفل نقله إلى واقع الممارسة والتطبيق . حتى إذا تزاحمت الأعداد وامتدّ الزمن ، تسرّب إلى داخل العمل الإسلامى أمراض المجتمع ، لتعود فتؤثر فى داخل العمل الإسلامى . وأن أول ما نشير إليه من هذه الأعراض هو اضطراب التصور اضطراباً دفع بالأفكار المتناقضة إلى حلبة الصراع ، ودفع بالمواقف المتصادمة إلى ميدان الفتنة والشقاق .

وإن أخطر ما نتج عن ذلك هو اضطراب الميزان الذى يزن القضايا والرجال والمواقف والأفكار . لقد إضطرب الميزان أحياناً إلى درجة لا تشعر معها أن التصور الإيمانى والتوحيد هما العاملان الأساسيان اللذان يوجهان الفكر والمواقف والأحداث .

لا تشعر أن التوحيد هو النبع الذى يروى ، ولكنك تلمس جفافاً هنا وهناك وشقاقاً هنا وهناك ، وعصبية عائلية تغلب أو عصبية قومية ، أو مصلحة أو هوى !

لقد أصبح العمل الإسلامى يبدو أحياناً أنه دعوة للتجمع لا دعوة للبناء ندعو الرجل ليكون معى أو تدعوه ليكون معك ، دون أن ندعوه أولاً

إلى صفاء الإيمان والتوحيد على منهج عملى مدروس ، وإلى ولاءٍ خالص لله أولا وإلى عهد ثابت مع الله أولاً . لقد غابت هذه المعانى وطغت معانى الحشد والجمع ، حتى اضطربت معانى الأخوة فى الله ، وغلبت عليها أخوة التجمع ، حتى كأننا نستبدل عصبيات بعصبيات .

لذلك كله نعتبر أن بناء التصور الإيمانى والتوحيد على صفاء التصور القرآنى هو الركن الأول فى النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، وهو الأساس الأول لها ، وهو الشرط الرئيسى الأول للقاء المؤمنين ولقيام الأُمة المسلمة .

**٢ - دراسة منهاج الله وتدبُره .**

لاشك أن الجميع أو معظم الناس يرفعون القرآن والسنة شعاراً . ولكن السؤال الذى نطرحه هو : هل يؤدى منهاج الله دوره الحقّ فى بناء الإنسان ، فى واقع الحياة الإسلامية اليوم ، فى واقع الحركات الإسلامية ، فى بناء فكر الإنسان وتصوّره ، وفى صياغة نهجه وسلوكه ؟ ! إذا نظرنا إلى حقيقة واقعنا لرأينا أن منهاج الله لا يؤدى دوره الحقّ الكامل فى كثير من الأحيان ، وفى أحيان أخرى يكاد يكون مهجوراً ، وفى أحيان أُخرى يكون التعامل مع منهاج الله أقرب إلى المظهر والشكل منه إلى البناء والإعداد .

لقد أصبح الإنسان المسلم فى زحمة الغزو الفكرى من أوربا وأمريكا وروسيا وغيرها من الدول المتفلتة من التوحيد ، وفى ابتعاده فى الوقت نفسه عن منهاج الله .

لقد أصبح من خلال هذا كله يقع تحت ضغط هائل من هذا

الفكر الزاحف . وكان من أثر هذا الضغط المستمر أن أخذ يتقبّل شيئاً فشيئاً بعض أفكار الدول الغازية ، بغضّ أفكارهم المتناقضة مع التوحيد وصفاء الإيمان . ثم أصبح تدريجياً يحاول أن يبحث عن مسوّغاتٍ للتناقص الذى يعانى منه ، وعن مسوّغات تؤيد الفكر الغازى وتبين ما يحسبه من محاسن . وكان يساعد على هذا الانبهار كذلك ما كان يحمل معه من شهوات ملتهبة ، ورغبات متأججة تميت فى الإنسان القدرة على الموازنة الأمينة ، فينحرف فى تيار من الفتنة شديد .

لقد أصبح من هؤلاء من ينظر إلى الفكر الغربى على أنه النموذج الذى يجب أن يحتذى فى الفلسفة الإنسانية ، والأدب ، وفى معانى الحرية والعدالة والمساواة ومعانى الأمن والسلام . ولقد غذّى هذا الاتجاه ما يعانيه المسلم فى مجتمعه من ظلم وطغيان واضطراب ، وخلل فى الموازين والمقاييس ، وضعف فى الإدارة والنظام وينظر إلى الغرب فيرى الإدارة والنظام قد قادته إلى تقدم علمىّ كبير . ويأتي هذا التقدم العلمى الكبير ليوحى بظلاله بأن الفكر الغربى نموذج يحتذى . لقد غاب عن بال الكثير أن « الفكر » الغربى والشرقى هو مصدر شقاء الإنسان فى الأرض ، مصدر قلقه وخوفه وحيرته . مصدر اضطرابه وأمراضه ، مصدر انحلاله وفساده . لقد دفعهم مفهوم « الحرية » لديهم إلى أسوأ ما عرفته البشرية من انحلال خلقى ، يدمّر المجتمع والأمة تدميراً لا ينكشف إلا بعد قرون ، ولات ساعة مندم ، وحين تمضى سنة الله فى خلقه وعباده .

لقد أصبحت معانى المساواة والعدالة لديهم تبيح طرد شعب كامل من أرضه ومنحها لشعب لا حق له بها . لقد أصبحت معانى العدالة تسوّغ فى نظرهم نهب خيرات الشعوب وثرواتها ، وإفقار الشعوب وذبحها فى

مجازر لما تجفّ فى الأرض بعد .

أمران تميزت بهما زخارف الغرب والشرق هما : التقَدُّم العلمى والتنظيم الإدارى وهما بابان مفتوحان لخلق الله كلهم ، لشعوب الأرض كلها . فقد ظهر التقدم العلمى فى أبشع ظلال الوثنية فى اليابان ، وفى ظلال الإلحاد المكشوف فى روسيا وفى ظلال الرأسمالية وقبل ذلك فى ظلال الإسلام . فهذان الأمران غير مقيّدين بفكر محدد فمن جدّ وسعى نال فيهما حظاً على قدر جده وسعيه . هذه هى سنة الله فى الحياة الدنيا . فلا حقّ لأحدٍ إذن أن يعتبر التقَدُّمَ العلمىّ دليلاً على صحة المنهج الفكرى وسلامته .

أما فى واقعنا فقد غلبنا القُعود والهوان ، فما نهضنا للسعى فى الأرض ولا نهضنا للدراسة والبحث والاكتشافات ، وكذلك أخذنا نستجدى الفكر من هنا وهناك حتى غلبتنا شقوتنا ، ورتعنا فى ذلنا وشتاتنا . وهجرنا أعظم فكر لدى الإنسان ، هجرنا منهاج الله . والسعيد السعيد الذى أخذ زاداً قليلاً من هنا وهناك على غير منهج والقليلون الذين أخذوا الأخذ العادل الأمين . فلابد إذن أن يعود منهاج الله إلى حياة أمتّنا ليؤدّىَ دورَه الذى أداه فى مدرسة النبوة ، على منهج مدروس وخطة واعية ، وصحبة كريمة .

هذا هو الأساس الثانى فى النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والركن الثانى فى لقاء المؤمنين ، وفى بناء الأُمة المسلمة الواحدة . ولا ينفصل أساس عن أساس وإنما هى أُسس متشابكة متماسكة تعمل كلها معاً فى آن واحد ، فى مدرسة الدعوة الإسلامية .

٣ - دراسة الواقع دراسة منهجية من خلال منهاج الله .

إذا نظرنا إلى واقعنا اليوم ، وإلى تاريخنا الحديث ، وإلى واقع الحركات الإسلامية نجد أن قضية الواقع ودراسته وفهمه ، فى جميع مستوياته ، كانت عنصراً مهملاً أشد الإهمال . فحين كانت تنهض البلاد الإسلامية ، أو تحاول النهوض للتقدم كان جهلها بالواقع من أهم الأسباب التى دفعتها للوقوع فى شرك الأعداء . فكم خدِع المسلمون بعدوٍّ فصاحبوه حتى فتنهم وفرّقهم وأذلّهم ، وكم حارب المسلمون بعضهم بعضاً إرضاء لعدوٍّ ماكر . وكان جهل المسلمين بالواقع الدولى مصدر نكبات مرّوعة ومصائب ومآس .

وإذا تدبّرنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وجدنا أن دراسة الواقع تمثل جزءاً من مسئوليته المؤمن فى الحياة ، وجزءاً من الأمانة الكبيرة التى يحملها وإذا كان المسلم مكلفاً بتطبيق منهاج الله فى واقعه ، فى جميع ميادين مسئوليته ، فلابد إذن من أن يفهم المسلم واقعه هذا حتى يستطيع الوفاء بالممارسة والأمانة والعهد .

ولا تكون دراسة مسئولية فرد واحد أو أفراد . إنها مسئولية كل فرد فى نطاق وسعه وطاقته ومسئوليته ، وهى مسئولية الجماعة والأمة والدعوة بمؤسساتها وهيئاتها وإداراتها المختلفة .

إننا لا نقدم دراسة الواقع من زاوية جزئية فى ميدان محدود ، ولكننا نقدمها جزءاً من نظرية إيمانية متكاملة الأجزاء نعرضها بكل شمولها الإيمانى واتساعها الفكرى لتأخذ دورها الحق فى الدعوة والنهج والبناء والتربية والممارسة الإيمانية ، فى حياة الفرد المؤمن والجماعة والأمة ،

متجاوزة كلَّ النظرات المحدودة التى عرضت من قبل سواء فى الفكر الأوربى وأدبه ، أو فى غيره . إنها تنبع من الإيمان والقرآن والسنة .

## ٤ - الممارسة الإيمانية لمنهاج الله .

إن الممارسة الإيمانية تحتاج إلى تدريب منهجى فى الدعوة الإسلامية ، فى مدرستها الممتدة مع الزمن .

يمكن للمسلم أن يتدّرب على تلاوة آية كريمة بكل شروط التلاوة وآدابها ، ويمكن له أن يدرس تفسيرها فى أوسع التفاسير ، ويمكن له أكثر من ذلك أيضاً ، يمكنه أن يحفظ الآية أو السورة أو القرآن الكريم كله . فهل هذا يكفى ؟ ! كلا إنه لا يكفى ! قد ينال المسلم أجره على تلاوته ودراسته وحفظه ، فذلك كله حسابه عند الله الذى لا يظلم أحداً أبداً ويجزى بميزان دقيق أمين . ولكن الثواب الأكبر هو عند ممارسة هذه الآية أو تلك ممارسة إيمانية صادقة ، وعملاً صالحاً يتقرب به إلى الله .

إن هذه الممارسة الإيمانية تعطى التلاوة والدراسة والحفظ بهاءً وراءً وجمالاً ، وبدون هذه الممارسة قد تجف التلاوة وتفقد بعض رواتها . وكذلك الدراسة والحفظ . وكما يحتاج المسلم إلى التدريب على التلاوة والدراسة والحفظ ، فإنه يحتاج أيضاً إلى التدريب على الممارسة الإيمانية فى سائر ميادينها تدريباً علمياً منهجياً . فبغير هذا التدريب والإعداد فى مدرسة الدعوة ، قد يدرس المسلم قاعدة إيمانية ثمَّ يمارس فى واقع الحياة قاعدة جاهلية . قد يدرس المسلم قاعدة « إنزال الناس منازلهم » مثلاً ، ويعى قواعدها الإيمانية . فإذا نزل إلى ميدان الحياة آثر الرحم على غير

عدالة ، أو نَصرَ الأهل والعشيرة على غير حقٍّ ، وملكته العصبية الجاهلية ، ويظل يعانى من صراع داخلىٍّ بين قوتين تعملان فى نفسه وفكره . لا يهدأ هذا الصراع الخفىّ الداخلىّ إلا بالإيمان الذى يمارسه فى واقع الحياة ، فيعطى كلَّ ذى حقٍّ حقَّه ، ويعطى الرحم حقَّه الذى حددَّه الله ، ويعطى سائر الناس حقوقهم . ويظل ولاؤه الأول لله سبحانه وتعالى ولاءً ينبع منه كل ولاءٍ له فى حياته الدنيا .

وبهذا الإعداد والتدريب يتحقَّق معنى أحاديث رسول الله ﷺ التى تطلب أن يرتبط العلم بالعمل .

فعن أبى برزة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ( **لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه وعن علمه ما فعل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه** ) « أخرجه الترمذى » [1] . هذه الأسس الأربعة متكاملة مترابطة متناسقة تكوِّن النظرية الأساسية العامة للعمل الإسلامى .

وعلى هذه القواعد والأسس تتحدَّد كل أهداف الدعوة الإسلامية فى مسيرتها وتتحدد ميادين العمل ومراحله .

من هنا ينطلق النهج العام للدعوة الإسلامية ، النهج الذى يسوِّغ قيام الحركات ويجلو مسيرتها ، لتتقدم إلى البشرية كلها ، إلى الإنسان فى الأرض بأعظم رسالة عرفها الإنسان على نهج يليق بهذه الرسالة العظيمة .

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته ( الفتح الكبير ) محمد ناصر الألبانى ٧١٧٧ - ٣٠٠٢ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٩٤٦ .

من الخطأ الكبير أن تمضى الدعوة الإسلامية دون نهج متميز ، منهج تفصيلى يحمل معه صدق النية وتفاصيل الدرب ومراحلها ، ووضوح الأهداف .

إن وجود هذا النهج بعناصره هذه كلها هو مظهر هام من مظاهر الصحوة الإسلامية وضرورة ملحّة لها ، وقاعدة أساسية فى الدعوة الإسلامية الممتدة فى الزمن كله .

ومن أهم معالم النهج الأهدافُ الجلية الواضحة ، الأهدافُ التى تتعلق بها القلوب والأنظار ، والتى تكوّن المعالم الحقيقية على الدرب إلى الجنة .

وعند وضع تفاصيل الدرب والأهداف المرحلية ، تكون من مسئولية الدعوة ومن مسئولية كل مسلم أن يطمئن إلى النقاط التالية .

**أولا** : أن الأهداف جميعها ربّانية تابعة من منهاج الله .

**ثانياً** : أن كلّ هدف يؤدى حقيقة إلى الهدف الذى يليه ، ويرتبط به ، وأن الأهداف كلها تربط بالهدف الأسمى « الجنة » .

**ثالثاً** : أن تفصيلات الدرب واتجاهه يربط الأهداف حقيقةً لا وهماً وشعاراً ، وأن الدرب كله هو باتجاه الأهداف غير منحرف عنها ولا معاكس لها .

**رابعاً** : أن تفصيلات الدرب نابعة كذلك من منهاج الله ، كذلك الوسائل والأساليب ، وكذلك الممارسة والتطبيق .

إنها مسئولية المؤمن نفسه أن يطمئن على توافر ذلك كله وعلى سلامته ووضوحه وعلى التقاء العزائم وقيام العهد على الوفاء بها . ونعالج الخطأ فكلُّ بنى آدم خطّاء . ولكنّ الإصرار على الخطأ ، أو الانحراف ، وعدم ردّ الأمور إلى منهاج الله ، هذا كله يحتاج إلى وقفة وتدبّر ، ومحاسبةِ نفس ونصح أمين وتعاون صادق كريم [1] .

---

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوى ( ص ١٢٢ - ١٤٤ ) باختصار .



obeikandl.com

# الخاتمـــة

« إن مشكلة اختلاف العاملين ، وتباين وجهات نظرهم الأساسية فى طريق العمل الإسلامى فى ظروفه الراهنة ، وإن وجود جماعات جديدة أو إتجاهات محدثة ، لن يضيف إلى واقع العمل الإسلامى إلا المزيد من الفرقة ، وأسباب التعصب ، وتشتيت الجهود ، وإشاعة الوهن . وإن أى جهد أو تحرك يغفل حل مشكلة الخلاف فى الصف الإسلامى ، يكون قد تجاوز مفتاح الحل الأكيد ، وأضاع جهده فى مجالات جانبية ، والمطلوب من مختلف العاملين توجيه جهد أساسى لحل هذه المشكلة ، والإسهام فى الخروج منها ، بتلمس المسببات الحقيقية لهذه المشكلة وطرح الحلول لها . »[1] .

« إن لقاء المؤمنين الذى ندعو إليه لا يأتى ثمرة قرار يتخذه الجالسون على أرائك الأمانى والأحلام ولا ثمرة ندوة وحوار ، ولا ثمرة خطوة مرتجلة ، ولا هو لقاء مصالح مشتركة فى عرض الدنيا وزينتها .

إن لقاء المؤمنين هو لقاء القلوب التى آمنت بالله وأنابت إليه وخشعت له ، صادقة تائبة عابدة مجاهدة فى سبيله راغبة فى جنته راكضة إليها .

إنه لقاء القلوب التى آمنت بأنها تحمل رسالة عظيمة للبشرية ، رسالة الله إلى عباده . من أجل هذا اللقاء لابُدَّ أن تتوافر فى الواقع تربه تسمح

---

(١) « فى منهجية الدعوة الإسلامية المعاصرة » أحمد سلام ( ص ٥٩ ) .

بنمو هذه الغرسة ، تربة تقاوم عناصر المرض حتى تقضى عليه ، فينمو غراس الإيمان فى تربة غنيّة وريٍّ غنيٍّ وهواء نقى ، تحمل فى جذورها وساقها وفروعها وثمارها عوامل مقاومة الفساد .

لقاء المؤمنين ينطلق من الحركات الإسلامية ما دامت مناهجها نقيّة صافية جليّة واضحة . فإن تخلّت الحركات الإسلامية عن ذلك وتمسكت التجمعات الإسلامية بعصبياتها ، واشتدت بينها أسباب النزاع ، فإن الله يهيىء برحمته جنوداً له يحمون دينه ودعوته ورسالته :

﴿ ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزا حكيما ﴾ (الفتح : ٧) .

سيهيىء الله دائماً لدعوته ودينه جنوداً يصبرون على البلاء حتى يمحصوا فلا يبدّلوا ولا يغيّروا ، حتى ينزل الله نصره عليهم . هؤلاءهم الفئة الظاهرة الثابتة فى الأرض ، الماضية مع الزمن ، الظاهرة على الحق ، القائمة بأمر الله ، تحمل سائر الخصائص الربانية التى تؤهلها بفضل الله ورحمته لهذه المهمة العظيمة ، ولتكون دائما نواة لقاء المؤمنين فى الأرض، نواة الصحوة الممتدّة والمتجددة .

إن لقاء الحركات الإسلامية على أسس مدروسة وصورة علمية يجب أن يحتل مكانه عالية فى اهتمام المؤمنين العاملين جميعهم ليأخذ هذا اللقاء دوره الحق فى بناء الأمة المسلمة الواحدة بخصائصها الربانيّة ، فى بناء الوحدة الإسلامية .

يجب أن ينال هذا الأمر اهتمام المسلم العادىّ ، واهتمام الحركات والجماعات واهتمام القوى العاملة كلها ، واهتمام الرأى العام .

ومهما وضعنا من أُسس لهذا اللقاء فهنا لك قاعدة أساسية لابد من توافرها أولا وهى الشرط النفسى . لابد من أن تتوافر القناعة الأكيدة لدى الحركات نفسها ، لدى قادتها ولدى أفرادها ، لتمثل هذه القناعة وعياً إيمانياً حقيقياً ، وتغيّرا ضرورياً فى داخل النفس ، وعياً ممتداً وتغيّراً عاماً .

إننا نؤمن أن الله سبحانه وتعالى هو القادر على أن يجمع القلوب والسواعد وهو القادر على أن يغيّر واقع الفُرْقة والتمزّق والشتات . ولكن الله سبحانه وتعالى فرض فى هذا الكون سنناً ماضية غالبة . ومن هذه السنن الغالبة قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال . سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار . له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سواءاً فلا مردّ له وما لهم من دونه من وال** ﴾ ( الرعد : ٩ - ١١ ) .

نعم هذه هى السنة الغالبة الماضية التى تعنينا هنا : ﴿ **... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ...** ﴾ .

نعم أراد الله سبحانه وتعالى أن يجعلها من مسئولية الإنسان ، المسئولية التى سيحاسب عليها يوم القيامة . فينال أجر ما أحسن أو وزر ما ظلم . الإنسان نفسه مكلف بأن يغيّر ما بداخله . ما فى أحنائه ، ما فى قلبه وصدره . إنه هو المسئول عن ذلك فى ميزان الله ، لأن الله سبحانه وتعالى زوّده فى فطرته ، وفى قدراته وطاقاته ، وفى وسعه ، بما يعينه على تحقيق ذلك . زوّده فى فطرته بالإيمان والتوحيد . وزوده فى كيانه بالسمع

والبصر والفؤاد ، لينفذ من خلالها إلى آيات الله المبثوثة فى الكون كله ؛ لتذكره ولتثبّت فى قلبه الإيمان والتوحيد . وبعث له النبيين والمرسلين وأنزل معهم الكتاب حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل أبداً.

لابد إذن أن تبدأ الانطلاقة من ذات الإنسان ، من ضمير الحركات الإسلامية ، لتطرح منها كل القيود والمعوقات وكل الأهواء والشهوات ، لتغيّر هى من نفسها ، من واقعها ، فيغير الله ما بها ويهيىء لها أسباب التلاقى ، وقد عقدوا كلهم النيّة فى نفوسهم والعزيمة فى قلوبهم ، وعلم الله منهم ذلك ، فيسرّ لهم الأسباب وفتح لهم الأبواب .

هذه هى القضية الأولى التى يجب أن نعلنها منذ اللحظة الأولى .

يجب أن نعلنها ونكرّرها ونؤكدها ، حتى لا يبقى عذر لأحد . ولابد من الإعادة والتكرار ذلك لأن الخطر كبير داهم ، ولأن القضية مُهمّة وعظيمة .

عن ثوبان رضى الله عنه قال . قال رسول الله ﷺ ( **إن الله روى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها . وإن أمتى سيبلغ ملكُها ما روى لى منها وأعطيت الكنزين الأحمر والأصفر وانى سألت ربى لأمتى ألا يُهلكها بسنَةٍ عامة وألا يسلط عليهم عدّواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وان ربى قال لى : إنى أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنَةٍ عامة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم مَن بين أقطارها حتى يكون بعضُهم يُهلك بعضاً ويسبى بعضهم بعضاً** ) ( أخرجه مسلم والترمذى وقال حسن

صحيح وأبو داود ) [1] .

هذا الحديث الشريف العظيم جمع القضيتين السابقتين ، وأبرزَ حقيقة المرض فى المسلمين اليوم ومكمن الخطر فيهم . جمع الحديث قوة الأمة المسلمة التى وهبها الله لها ، ووعدهم بالحماية حتى لا يستبيح أحد بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها . فأى حماية يرجو المسلمون أعظم من ذلك ؟ ! .

لو اجتمع عليهم أهل الأرض كلهم : الدول الكبرى والصغرى والصليبية والشيوعية والصهيونية والوثنية كلها ، لو اجتمع هؤلاء كلهم ضد المسلمين فإن الله وعد رسوله ووعد بذلك أمته بحمايته لهم حتى لا يستبيح أحد بيضتهم إلا فى حالة واحدة فقط لا تتحقق فيها هذه الحماية ، ولا تنطبق عليها عند عندئذ شروط العهد : ﴿ **حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبى بعضاً** ﴾ . أى حين يدبُ الشقاق بين المسلمين ، وتنشر الفتنة أو يغلب الهوى والشقاق والتدابر . هنا فى هذه الحالة يتعرّض المسلمون لخطرٍ داهمٍ من عدوٍّ من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم . وآية ذلك فى تاريخنا الممتدّ . آية ذلك ما تعانيه الأمة من تمزّق وشتات ، وفرقة على عصيبات جاهلية أخذت ألف لون وشكل . هنا نصبح غثاء كغثاء السيل وهنا ينزع الله من صدور عدونا المهابة منا ، وهنا يقذف الله فى قلوبنا الوهن ، حب الدنيا وكراهية الموت . واسمعوا إلى رسول الله ﷺ حديثاً كأنه تتمة للحديث السابق ، ويستكمل الصورة كلها :

---

(١) سنن الترمذى . كتاب الفتن ( ٣٤ ) باب ١٤ حديث : ٢١٧٥ .

عن ثوبان رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ( **يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة على قصعتها فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السبل ، ولينزعنّ الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفنّ فى قلوبكم الوَهن . فقال قائل « يا رسول الله وما الوهن ؟ قال حب الدنيا وكراهية الموت** ) ( رواه أحمد وأبو داود ) [1] إذن هيأ الله لعباده جميع أسباب لقاء المؤمنين على أوفر غِنىً ، وأوسع يُسر ، ولا يبقى إلا ما هو فى دائرة مسئولية الإنسان ، مسئولية كل مسلم سيحاسب عليها بين يدى العزيز الجبّار . فلينهض المسلمون إلى أمانتهم ، ولتنهض الحركات الإسلامية إلى مسئوليتها الأولى ولابد أن يتم اللقاء على خُطة ومنهج يجمعان القوى المؤمنة الصادقة والمواهب المؤمنة العاملة ، لتصبّ الجهود فى مجرى خير واحد . ولابد أن يقوم النهج على أساس من منهاج الله والواقع الذى نمرُّ به ، حتى يكون فى النهج والخطة علاج حقيقى لما نعانى من ضَعف وأمراض .

من هذا المنطلق نقدّم ما نؤمن أنه أساس ضرورى لكل لقاء بين المؤمنين أساس لا غناء عنه ، ولكن هذا الأساس يظل يحتاج إلى النيّة الصادقة ، والعزيمة الأكيدة ، حتى يعطى فائدته وجدواه وهو فى الوقت نفسه أساس يساعد على توفير النيّة وبنائها ، والعزيمة وشدّها ، بإذن الله لمن يشاء الله له أن يهتدى .

---

(١) سنن أبى داود. كتاب ( ٣١ ) باب ( ٥ ) حديث ( ٤٢٩٧ ) .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم [1] .

و « سبحان الله وبحمده ، سبحانك اللهم وبحمدك ، وأشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك » .

كَتَبَهُ

محمد يومى

المنصورة

(١) نقلاً عن « الصحوة الإسلامية إلى أين ؟ » للدكتور عدنان النحوى ( ص ٣٩ - ٤٥ ) باختصار .



obeikandl.com

obeikandl.com

# الفهـــرس


| الموضـــوع | ص |
|---|---|
| • مقدمة تشتمل على معنى العبادة وذم الفرقة فى الكتاب والسنة | ٥ |
| • المفهوم الصحيح للولاء والتزام منهج الله | ٩ |
| • إعتقاد كل جماعة أنها جماعة المسلمين !! | ١٢ |
| • ما المقصود بـ « الجماعة » التى يأثم المسلم بتركها ؟ | ١٣ |
| • الرابطة التى تجمع المسلمين بعضهم ببعض | ١٧ |
| • الواقع بين الجماعات الإسلامية الآن | ٢١ |
| • أختلاف السلف والأئمة | ٢٣ |
| • العمل الجماعى المنظم واجب شرعى | ٢٤ |
| • العمل للإسلام من خلال هذه الجماعات أمر لا غبار عليه | ٢٥ |
| • آفات التحـــزب والتعصـــب | ٢٨ |
| • ولهذا فهم يرفضون النصح ويحسبونه هدماً | ٣٢ |
| • نتيجة الجماعة : رحمة الله ورضوانه | ٣٤ |
| • ونتيجة الفرقة : عذاب الله ولعنته | ٣٤ |
| • الراجـــون رحمة الله | ٣٥ |
| • قـلة تنفـذ الموقف | ٣٨ |
| • كيـــف نلتقى ؟ | ٣٩ |
| • قواعـــد الحوار | ٤٠ |
| (١) عدم تسفيه المخالف فى الرأى أو تجهيله أو التهكم عليه | ٤٠ |
| (٢) ترك المـــراء | ٤١ |
| (٣) السمـاع الكـامل | ٤١ |
| (٤) رحمانيـــة الحـــوار | ٤٢ |
| (٥) إعطاء كل ذى حقاً حقه | ٤٣ |




obeikandl.com

| الموضـــوع | ص |
| --- | --- |
| • عوامل مساعدة على وحدة الصف | ٤٥ |
| (١) التحذير من نشر الشـــائعات | ٤٥ |
| ما ينبغى على المسلم عند سماعه مثل هذه الإشاعات والأخبار | ٤٧ |
| (٢) النظر فى حـال الجـارح | ٥٠ |
| (٣) التثبت من الأخبـــار | ٥١ |
| (٤) رد الغيبة على المغتـــاب | ٥٤ |
| (٥) كلام الأقران لا يقبل ويطوى ولا يروى | ٥٦ |
| • معنى لقاء الحركات الإسلامية وأهميته | ٦١ |
| • خصائص الأمة المسلمة الواحدة | ٦٤ |
| • البعد الإنسانى للأمة المسلمة الواحدة | ٧٠ |
| • النظرية العامة للدعوة الإسلامية وأساسها كالآتى | ٧٧ |
| (١) بناء التصور الإيمانى والتوحيد فى النفوس على صفائها القرآنى | ٧٨ |
| (٢) دراسة منهاج الله وتدبره | ٨١ |
| (٣) دراسة الواقع دراسة منهجية من خلال منهاج الله | ٨٤ |
| (٤) الممارسة الإيمانيـــة لمنهـــاج الله | ٨٥ |
| • الخاتمـــــــة | ٨٩ |




obeikandl.com

obeikandl.com

دار الأمين
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية تليفون وفاكس ٥٤٥٧٧٦٩

obeikandl.com